الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

الثورات الشعبية في الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني

-التيجانية أنموذجا 1782-1827م-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبين:
الطيب طعشوش
عبد القادر العمري

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الحميد عمران

أعضاء لجنة المناقشة

أد. عمر بوضربة	رئيسا	جامعة محمد بوضياف- المسيلة
أد. عبد الحميد عمران	مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف- المسيلة
د. محمود بوكسيبة	ممتحنا	جامعة محمد بوضياف- المسيلة

السنة الجامعية 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

عرفت ظاهرة التصوف بالجزائر خلال العهد العثماني انتشارا واسعا، حيث وجدت أرضية خصبة وفرتها لها السلطة العثمانية لإدراك هذه الأخيرة الأهمية البالغة التي تمثلها فئة المتصوفة داخل المجتمع الجزائري، فسعت إلى كسب ودهم ومنحهم صلاحيات واسعة وذلك من اجل بسط سيادتهم على الجزائر، الأمر الذي منح للطرق الصوفية وشيوخها حرية كبيرة في التسيير، فتجاوزت هذه الطرق دورها الديني، وصارت تؤدي وظائف أخرى ذات طابع اقتصادي وسياسي.

إن هذه السيطرة الواسعة للطرق الصوفية مكناها من إظهار إمكانيات عسكرية كبيرة أواخر القرن 18م ومطلع القرن19م، نتيجة للإقصاء الذي تعرضت له من قبل السلطة الحاكمة وتراجع مكانها واختلافها عن ما كانت عليه في العهود الأولى للعثمانيين، إضافة إلى السياسة الجبائية المجحفة التي مارستها السلطة على الأهالي، ما جعلها تقوم بثورات عديدة من اجل استرداد المكانة وتحسين وضعية الأهالي.

وفي ظل هذه الظروف ظهرت الطريقة التيجانية على يد الشيخ أحمد التيجاني، وعملت منذ نشأتها على مجابهة الأوضاع المتردية التي عرفتها الجزائر، لهذا سنحاول تسليط الضوء على هذه الطريقة وعلى الثورة التي قامت بها ضد السلطة العثمانية بالجزائر ما بين 1782-1827م.

أسباب اختيار الموضوع

إن اختيارنا لهذا الموضوع يقوم على عدة اعتبارات، انطلاقا من الميولات الشخصية في خوض دراسات حول المواضيع المتعلقة بالطرق الصوفية ونشاطها خاصة في الفترة العثمانية، أما عن اختيار الثورة التيجانية على غيرها من الثورات كونها تمثل الخط الفاصل الذي عبرته الجزائر لدخول مرحلة جديدة في تاريخها، وكذا لمحاولة معرفة مساهمتها في هذه القضية.

إشكالية الموضوع

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية والتساؤلات التالية:

كيف نشأت الطريقة التيجانية؟ وكيف كانت علاقتها بالسلطة؟ وماهي الأسباب التي دفعت بها للقيام بالثورة؟ وما موقف السلطة العثمانية منها؟

كيف كانت الأوضاع العامة بالجزائر أواخر عهد الدايات؟ وماهي اهم الثورات التي قامت إلى جانب الثورة التيجانية؟ وماهي النتائج التي ترتبت عن هذه الثورات ؟

وللإجابة على التساؤلات المطروحة قمنا بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة فصول، تناولنا في الفصل الأول الأوضاع العامة بالجزائر أواخر العهد العثماني، وجئنا على ذكر اهم الخصائص التي ميزت الأوضاع السياسة، والتي عرفت في المرحلة الأولى نوعا من الهدوء ثم دخلت في مرحلة اضطراب وصراع، كما تطرقنا كذلك إلى الأوضاع الاقتصادية والتي غالبا ما تتأثر بالحالة السياسة للبلاد، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية، فتطرقنا في هذا العنصر إلى التركية السكانية للمجتمع الجزائري وكذلك أحواله الصحية، والحالة الثقافية التي كانت تعيشها البلاد عصر الدايات.

أما عن الفصل الثاني فقد خصصناه لثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني، فبداية تحدثنا عن العلاقة التي كانت قائمة بين الطرق الصوفية والطبقة الحاكمة والمراحل التي مرت بها، ثم تبعها الحديث في العنصر الثاني على ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري واهم أحداثها ونتائجها على البايلك والبلاد، ثم تطرقنا إلى ثورة ابن الشريف الدرقاوي وثورته المتزامنة مع ثورة ابن الأحرش، وأهم الأحداث التي ميزتها ونتائجها.

بالنسبة للفصل الثالث والأخير فقد تمحور حول الطريقة التيجانية وثوراتها، فعنون بالتيجانية والسلطة العثمانية تناولنا فيه تعريف لمؤسس الطريقة ونشاطه العلمي الذي انتهى بإنشاء طريقته وانتشارها، إضافة إلى العلاقة التي كانت تربط بين الطريقة التيجانية والسلطة والعثمانية، ليكون العنصر الموالي حول بداية الثورة التيجانية في عهد المؤسس أحمد التيجاني، وصولا إلى مرحلة التصادم المباشر في عهد ولديه محمد الكبير ومحمد الحبيب مع ذكر أهم النتائج التي ترتبت على هذه الثورة.

لينتهي هذا البحث المتواضع بخاتمة احتوت على مجموعة من الاستنتاجات المتعلقة بالموضوع.

المنهج

ولقد اعتمدنا في إعدادنا لهذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث وفق تسلسلها الزمني نظرا لطبيعة الموضوع الذي يحتوي على الكثير من الثورات والوقائع التي تتطلب الوصف.

المصادر والمراجع

استعنا في إنجازنا لهذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر من بينها:

المصادر المختصة في تاريخ بايلك الغرب الجزائري مثل كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني والذي تتبعنا من خلاله مسار الثورة التيجانية وكذلك ثورة ابن الشريف الدرقاوي، إضافة إلى كتاب طلوع سعد السعود لمؤلفه الآغا ابن عودة المزاري الذي هو الأخر جاء على ذكر الثورتين ويعتبر مصدرا مهما كونه قد عايش هذه الأحداث.

كما اعتمدنا على مذكرات أحمد الشريف الزهار التي تناولت مواضيع مختلفة، اقتصادية، سياسة والأمنية عن الفترة المتأخرة للحكم العثماني بالجزائر، وكذلك كتاب صالح العنتري مجاعات قسنطينة وكتاب فريدة منسية، تتبعنا من خلالهم أحداث ثورة ابن الأحرش في الشرق القسنطيني.

أما عن المراجع فأهما كتابات ناصر الدين سعيدوني المختصة في تاريخ الجزائر الحديث مثل كتاب ورقات جزائرية وكتاب الجزائر في التاريخ العهد العثماني والنظام المالي، تتبعنا من خلالهم العديد من المواضيع التي تخص البحث من أوضاع اقتصادية واجتماعية، تفاصيل عن الثورات، إضافة إلى مؤلف ارزقي شويتام المعنون بنهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره، ساعدنا كذلك هو الآخر في تتبع أحداث مختلف الثورات التي عرفتها

البلاد. وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله من خلال طرحه لعديد القضايا التي استفدنا منها طيلة إعدادنا للبحث.

أما بالنسبة للدراسات السابقة فقد اعتمدنا على أطروحة ابن يوسف التلمساني المعنونة بالطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر ، أفادتنا في تتبع الطريقة التيجانية منذ التأسيس والانتشار وإلى غاية حدوث الثورة.

صعوبات البحث

واجهتنا مجموعة من الصعوبات في دراستنا لهذا الموضوع، والمتعلقة بالمادة العلمية بشكل أساسي، فالوضع الذي شهدته الجزائر والعالم من انتشار لوباء "كوفيد 19" والذي لازال كما هو إلى غاية تحرير المذكرة، عجل بغلق شامل لكل الجامعات والمكتبات، مما دفعنا للاعتماد على ما توفر وتيسر من الكتب الإلكترونية لوحدها، إضافة إلى أن المصادر التي توفرت لدينا يلاحظ أنها قد تناقلت المعلومات عن بعضها البعض بدون أي اختلاف حتى في سرد الأحداث ما عدى القليل منها، مؤدية إلى نفس الحقائق والنتائج.

الفصل الأول: الأوضاع العامة بالجزائر أواخر العهد العثماني

أولا: الأوضاع السياسة

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

الفصل الأول: الأوضاع العامة بالجزائر أواخر العهد العثماني

أجمعت الدراسات التاريخية على تقسيم الحكم العثماني في الجزائر إلى أربعة مراحل أساسية اختلفت كل مرحلة عن الأخرى بمجموعة من الخصائص السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، وتعتبر مرحلة الدايات (1671-1830م) آخر مراحل الحكم العثماني بالجزائر إحدى المراحل الحساسة بالنسبة للإيالة الجزائرية حيث شهدت هذه الأخيرة العديد من التطورات والتغيرات في مختلف الميادين، مما أهلها أن تكون المرحلة الأكثر تأثيرا والأشد وقعا على المسار التاريخي للإيالة الجزائرية[1].

أولا: الأوضاع السياسية

لعل أهم سمة ميزت وجود العثمانيين بالجزائر هي هيمنتهم شبه المطلقة على أمور الإدارة والجيش والاقتصاد، أما غالبية السكان فكان حظهم التهميش، عكس بعض الأقليات إما ممن ارتدوا عن المسيحية أو من اليهود الذين حظي بعضهم بامتيازات وارتقاء أعلى المناصب و الرتب في هرم السلطة أو داخل المؤسسة العسكرية[2].

كما تميز النظام السياسي في هذه المرحلة بالاستبداد المطلق والانغلاق على نفسه مما أدى بدوره إلى العنف في الحكم ويعتبر هذا الأمر من ابرز سمات المظهر العسكري للوجود العثماني بالجزائر، فسواء نظرنا إلى شكل الحكم نفسه أو إلى علاقته بالسكان أو الأحكام الصادرة عنه فإن ظاهرة العنف كانت هي البارزة في كل ذلك ما أثر سلبا على حياة المجتمع الجزائري سواء في الريف أو في المدينة وعلى مستقبل البلاد كذلك بشكل عام[3].

كان الدايات في البدايات الأولى لهذه المرحلة ينتخبون من قبل رياس البحر (1617-1669م)، ثم استرجع الأوجاق نفوذهم فأصبح الداي يختار من بين ضباط الإنكشارية مما

---

[1] مبارك شودار:" لمحة عن الأوضاع السياسية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع 04، جامعة الأغواط، ديسمبر 2016، ص 223.

[2] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد الحديث، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2008، ص ص 9-10.

[3] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 143.

أعطى للإيالة الجزائرية نظاما حكوميا شبيها بالحكم الجمهوري الحديث، يمارس فيه الداي سلطة شبه مطلقة في مجال جمع الضرائب وحفظ الأمن الداخلي[1].

وأمام هذا الوضع أصبحت الجزائر جمهورية عسكرية لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني، بينما الدايات أصبحوا يعتبرون أنفسهم كحلفاء للباب العالي فقط، فهم لا يتعاملون مع الدول الأوروبية باسم الدولة العثمانية، بل يتصلون بالأوروبيين مباشرة دون اعتبار مصلحة الباب العالي، كما أن ممثلين الدول الأوروبية لدى الجزائر أصبحوا يتجاهلون السيادة العثمانية في تعاملهم مع إيالة الجزائر، ولا سيما ممثل فرنسا الذي أصبح يلقب منذ بداية القرن التاسع عشر بالمكلف بالأعمال، وهذا ما جعل العلاقة بين فرنسا والجزائر تكتسي صبغة خاصة[2].

ولعل أهم حدث يبرز تبلور الكيان الجزائري وانفصاله عن الدولة العثمانية هو تمكن الدايات من التخلص من الباشا مبعوث السلطان إلى الجزائر الذي اعتاد الباب العالي إرساله لتمثيله شخصيا لدى ديوان الجزائر، وهذا ما فعله الداي علي شاوش[3] عندما منع دخول الباشا مبعوث السلطان إلى الجزائر عام (1771م)، مما اضطر الباب العالي أخيرا إلى الامتناع عن إرسال ممثل عنه وإسناد لقب الباشا إلى علي شاوش وبالتالي أصبح دايات الجزائر يجمعون بين المنصب التنفيذي "الداي" واللقب الشرفي "الباشا" ويستحوذون على المهام التنفيذية لجهاز الحكم، حتى أن بعض المؤرخين لم يترددوا في وصفهم بأنهم كانوا يجمعون ألقاب السلطة كلها رغم بقائهم في نطاق الرابطة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص 23-24. ينظر كذلك: وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 42.

[2] نفسه، ص 22.

[3] "علي شاوش، تولى الحكم عام 1710م، ودام حكمه ثمانية سنوات إلى غاية 1718م أين توفي بمرض الزخار (ويقصد به هنا الإسهال)، ودفن بمقبرة داخل مدينة الجزائر". ينظر: ابن المفتي حسن بن رجب شاوش: تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص ص 60-61.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص16.

ومما يجدر الإشارة إليه أن مباشرة الدايات لمهامهم الإدارية والمالية تتأثر بسلوكهم وأمزجتهم الخاصة، وعلى هذا الأساس نميز بين صنفين منهم الصنف الأول زاهد في متاع الدنيا منصرف إلى الأعمال الخيرية مثل الداي بابا محمد عثمان (1766-1791م)[1]، أما الصنف الآخر من الدايات فعرف بعدم القدرة على تسيير أعمال الدولة لأنه توصل إلى منصبه بفضل تمرد الانكشارية والمطالبة بزيادة الأجور والهدايا، بعد أن كان هؤلاء الدايات يباشرون مهنا كانت تعتبر وضيعة مثل مهنة الفحامين والإسكافيين أو الكناسين، وأصدق مثال على هذا الصنف الداي علي الغسال[2].

وقد عرف هذا الصنف من الدايات أيضا بالإسراف و التبذير كالداي محمد بن باكير باشا (1748-1754م)، الذي انفق كل ما في الخزينة على رفاهية أولاده وزوجته وترك الخزينة فارغة أو تكاد، وهؤلاء الدايات المسرفون غالبا ما تكون نهايتهم مؤسفة، فقد كانوا يتعرضون لانقلاب الجند عليهم فتصادر أموالهم وتتعرض عائلاتهم وأبناؤهم للانتقام عكس الدايات المصلحين الذين كانوا يحظون بالتمجيد[3].

شهدت الفترة الأخيرة من حكم الدايات (1791-1830م) سلسلة من الاغتيالات مست العديد من الدايات، وكان وراء هذه الاغتيالات جماعات عسكرية ومثال ذلك نذكر:

قتل علي الخوجة الملقب بالغسال 1809 م:

بلغت الفوضى أقصى ذروتها وعنفوانها في عهده، وانقسمت الانكشارية إلى قسمين، فالانكشارية اعتادت لدى تبديل كل داي على الترفيع وزيادة الرواتب، لكن الداي الجديد لم يقدم أي شيء، لهذا قرروا بالإجماع على قتله، وفي السابع من فبراير سنة 1809م هجمت مجموعة من الانكشاريين على القصر، و أرادوا إجبار الداي على الانتحار بالسم

[1] "كان محمد عثمان باشا مؤثرا للعدل والإنصاف، عارفا بقوانين الملك، ملتزما بأحكام الشريعة المطهرة، وكان يحب الجهاد، ووقعت في أيامه حروب كثيرة، ورزقه الله النصر في جميع حروبه. قام ببناء العديد من الأبراج و الحصون لحماية الجزائر مثل برج سردينة والبرج الجديد". ينظر: أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (حروبه ، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 80.

[2] "اسمه الحقيقي علي خوجة (1808-1809م) والملقب بالغسال، وكما يفهم من اللقب فقد كانت مهنته غسل الموتى، ومن ثم أصبح إمام جامع، وفي النهاية أصبح مسؤول التشريفات بالقصر وحصل على لقب خوجة، كان عصبي المزاج وغدار وضعيف التفكير، بدأ عمله أولا بقتل رجال الداي الذي سبقه. ينظر: عزيز سامح التر الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت ، 1989، ص ص 593-594.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص ص 24-26.

فرفض ذلك بحجة أن الدين يحرم ذلك فقتلوه خنقا، استمر حكم الداي علي خوجة مدة أربعة أشهر من 8 نوفمبر 1808م وحتى 7 فبراير 1809م[1].

قتل الباي بوكابوس[2] 1812 م:

قام الباي علي قارة باغلي[3] بقتل الباي بوكابوس سنة 1812 ظنا منه أن هذا الأخير رفض الانصياع إلى أوامر الداي بالجزائر، فنكل به بأشد النكل، فسلخ رأسه وهو حي وفعل به فعلا شديدا وملأه بعد السلخ بالقطن وبعثه للجزائر فعلقوه على عمود طويل وتركوه معلقا هناك لفترة طويلة[4].

أما على الصعيد الخارجي فقد عرفت الجزائر منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي استقرارا سياسيا ما مكنها من إنتاج سياسة حازمة مع الدول الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا، وأخضعت الامتيازات الفرنسية إلى الرقابة عند تجديدها كل من سنة(1790،1768،1767م)، كما حدت من نفوذ القنصل الإنجليزي الذي اضطر إلى مغادرة الجزائر سنة (1783م)، وتمكنت من رفع قيمة الإتاوات السنوية للدول التي كانت تنتفع بالتبادل التجاري مع الجزائر دون أن ترتبط معها بمعاهدات مثل البندقية و هولندا[5].

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

1- الزراعة:

---

[1] عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص 594.

[2] "هو محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس، وحصل على هذه الكنية لأنه يحمل الكابوس دائما معه ولا يفارقه إطلاقا، تولي حكم بايلك الغرب عام 1808م وبقي في الحكم خمسة أعوام، شهدت فترة حكمه ثورة الشريف الدرقاوي الشهيرة، كانت نهايته على يد الباي علي قارة باغلي عام 1812م، الذي تولى منصبه فيما بعد. ينظر: الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، ط1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 328.

[3] "هو الباي علي، المعروف بقارة باغلي، نسبة إلى بلدة ببلاد الأتراك، كان موصوفا بالعقل والرياسة والمعرفة، تولى بايلك الغرب سنة 1812م، حدث في عهده اجتياح غير معهود للجراد الذي أهلك الزرع، كما انقطع ذكر ثورة الدرقاوي في عهده، كانت نهاية الباي علي على يد باي الجزائر، كونه لم ينفذ أمرا طلبه منه باي الجزائر فستغاظ منه وقام بقتله عام 1817م". ينظر: المزاري: المصدر نفسه، ص ص338-347.

[4] نفسه ، ص ص 336-337.

[5] مبارك شودار: مرجع سابق، ص 226.

تمثل الزراعة مكانة هامة في اقتصاد الجزائر، وقد ظلت طيلة العهد العثماني، ولاسيما السنوات الأخيرة هذه، تمثل النشاط الرئيسي بالأرياف والمورد الأساسي لغالبية سكانه. هذا وقد ساعد على ازدهار الزراعة وتنوع منتوجاتها وكثرة محاصيلها عدة عوامل في طليعتها الشروط الطبيعية المتمثلة خاصة في الأحوال المناخية الملائمة والتربة الخصبة والمياه الكافية[1].

بالرغم من هذه الأهمية إلا أن وسائل الإنتاج كانت بدائية جدا، والتي لم تسع السلطة التركية إلى تطويرها إلا في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، لما أخذت موارد البحرية تتراجع والحاجة لتصدير المنتوجات الزراعية تزداد، فالأدوات التي كان يستعملها المزارع والتي اشتركت فيها مختلف المناطق الزراعية في البلاد كانت مثل "محراث إفريقيا الرومانية والمنجل، وقنوات الري التي تعود إلى عهود سابقة"[2].

اختصت كل منطقة في الجزائر بإنتاج نوع معين من المحاصيل حسب ظروفها الطبيعية والمناخية، فالحبوب اشتهرت بها معسكر ووهران ومجانة، قسنطينة، وكانت تعتبر محصولا رئيسيا معدا للاستهلاك الداخلي والتصدير الخارجي، ولذلك عمل البايلك للاستيلاء على أراضي الحبوب التي أصبحت من أملاك الدولة بنواحي قسنطينة ووهران وكانت تغطي حوالي أربعة وثمانين ألف هكتار عشية الاحتلال[3].

اشتهرت كذلك زراعة الأشجار المثمرة والتي ارتبطت بالمناطق الجبلية وأراضي الفحوص القريبة من المدن، فبالنسبة للمناطق الجبلية انتشرت زراعة أشجار التين والزيتون والليمون والبرتقال والعنب والرمان والتفاح، وكان الفلاحين يعتمدون على معاشهم عليها ويبادلون فائض إنتاجهم منها بما يحتاجونه من الحبوب، وقد اشتهر فلاحو مناطق بجاية وجيجل بتلقيح الأشجار واستصلاحها حتى تصبح منتجة.

كما تميزت المناطق الصحراوية بزراعة أشجار النحيل التي اشتهرت بها مناطق الزيبان وواد ريغ وواد سوف حيث كانت تتوفر على ما يقل عن 150,000 نخلة[4].

---

[1] فلة القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستار في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص 09.

[2] صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 335.

[3] حنيفي هلايلي: المرجع سابق، ص 153.

[4] فلة القشاعي: المرجع سابق، ص 11.

وبالنسبة للمزروعات ذات الطابع التجاري كالقطن والكتان والأرز، فقد كانت تنتج بشكل كبير في بايلك الغرب، في الشلف ومعسكر ومستغانم، وقد بلغ إنتاج القطن بالمنطقة أواخر القرن الثامن عشر ستة الاف صاع، في المقابل اشتهر بايلك الشرق بإنتاج العسل والشمع الموجه للاستهلاك والتجارة، في كل من إقليم عنابة والقالة[1].

إن الحالة المزدهرة التي كانت عليها الزراعة الجزائرية قبل الاحتلال قد شهد بها كثر الملاحظين، فقد علق هايدو (Haedo)[2] اثر ذهابه إلى خارج مدينة الجزائر في إحدى المناسبات بقوله "هناك العدد الذي لا يحصى من الحدائق وبساتين الكروم المملوءة بشجر البرتقال وأشجار الزيتون، وبالأزهار من كل نوع، وبحنفيات الماء الزلال الذي يتدفق في كل الجوانب بكثرة وقوة"[3].

أما عن الثروة الحيوانية فقد امتلكت الجزائر أعداد ضخمة من الحيوانات كالأغنام والماعز والأبقار والخيل والبغال والحمير، وفرت هذه الحيوانات كمية كبيرة من الوبر والصوف التي كانت تستعمل في صنع الخيام والبرانس والأردية، أو تصدر إلى الخارج، كما كانت الحيوانات مصدر العيش الرئيسي في الجهات السهبية كمنطقة النمامشة.

هذا وقد اشتهرت بعض الأقاليم الجزائرية بالمحافظة على أنواع أصيلة من الخيول العربية التي تتصف بصغر حجمها وعصبية طبعها وشدة مقاومتها وسرعة جريها. وقد قدرت الإحصائيات الأولى للجيش الفرنسي عدد الحيوانات في السنوات الأخيرة من العهد العثماني حسب التقدير الآتي: 6.850.205 رأس غنم و3.384.902 رأس ماعز و1.031.738 رأس بقر و213.321 جملا وناقة، إضافة إلى أعداد أخرى من الحمير والبغال[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهمدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص 54.

[2] "اسمه الكامل فراي دياغو دي هايدو (FRAY DIAGO DE HAEDO)، راهب إسباني تعرض للأسر والاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر افريل عام 1578، وتم اطلاق صراحه عام 1581، وقام بنشر أعماله التي الفها طيلة الأسر تحت عنوان طبوغرافية تاريخ الجزائر العام". ينظر: حميد آيت حبوش:"أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني انموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، جامعة وهران، د.ت، ص ص 72-73.

[3] وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 136.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص ص 60-61.

إن هذا الازدهار الزراعي الذي بقيت أثاره حتى فترة متأخرة ما لبث في الواقع أن بدا يزول مع نهاية القرن السابع عشر الميلادي وقد ارتبط ذلك بإنتشار الأوبئة وظهور المجاعات، وتناقص السكان وزيادة الضغط الجبائي على الأرياف[1].

2-الصناعة

عرف المجتمع الجزائري في العهد العثماني العديد من الصناعات التقليدية، كانت تستمد خامتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني، وقد أدى تنوع المواد الخام إلى تنوع الإنتاج، فكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة، وكان جزء من الإنتاج يستهلك محليا ويصدر الفائض إلى الخارج .

ومن أهم الصناعات أو الحرف التي مارسها المجتمع الجزائري على المستويين، المدينة والريف هي الصناعات النسيجية والحريرية، والقطنية والجلدية والمعدنية والخشبية والفخارية[2].

فالصناعات المحلية التي استمدت تقاليدها من الماضي السحيق يعتمد في نشاطها على توفير احتياجات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل: صناعة الأغطية الصوفية والأحزمة الحمراء بتلمسان، والبرانس والزرابي والحصر بالأطلس الصحراوي، والفخار بندرومة والزرابي بقلعة بني راشد والأدوات الجلدية والأقمشة بمازونة، ومهن الحدادة وصناعة الأسلحة والفضة بمناطق جرجرة، ومعالجة الأصواف والجلود والسروج والجواهر بقسنطينة، وصناعة الحلي والأحذية والشواشي بمدينة الجزائر[3].

3- التجارة

1- التجارة الداخلية

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والثلاثون، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010، ص 48.

[2] ارزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 221.

[3] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص ص 33-34.

يتوزع النشاط التجاري للجزائر في العهد العثماني على المدن الكبيرة والأسواق الأسبوعية الموسمية، فمن أهم المراكز التجارية مدن الجزائر وقسنطينة وتلمسان[1].

لقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي إلى ازدهار النشاط التجاري فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية مهمة، يؤمها الأهالي من مختلف الجهات لشراء حاجاتهم الضرورية، وبيع إنتاجهم الزراعي والصناعي، وهذا ما خلق نوع من الترابط بين المدن والأرياف، فكانت مدينة الجزائر مثلا تأتيها المواد الغذائية وغيرها من مزارع المناطق المجاورة لها، مثل الفحوص وسهل متيجة، شرشال وحتى من المناطق الجبلية والجنوبية[2].

2- التجارة الخارجية

عرفت التجارة الخارجية أواخر العهد العثماني نوعا من الركود بسبب إهمال العلاقات مع إفريقيا والدول الأوروبية، وذلك بسبب سيطرة الجهاد البحري على الحياة الاقتصادية في الإيالة، فأصبحت الجزائر اقل بلدان المغرب حظا في ميدان التجارة العالمية[3].

كانت المبادلات التجارية مع الأقطار العربية تتم غالبا عن طريق قوافل الحج، وذلك لكون الحجاج كانوا يحرصون أثناء سفرهم على نقل البضائع من أقاليمهم ومبادلتها بمنتوجات البلاد التي يمرون عليها مما سمح لبعض الحجاج من تحقيق أرباح مرتفعة[4].

ومن أهم هذه القوافل هي قافلة الحج التي تنطلق من المغرب، أين يجتمع الحجاج في تازة بالمغرب، ثم تعبر الجزائر وتونس وطرابلس بحيث أن عدد القافلة تزيد وعدد الحجاج يكبر كل مرة يمرون فيها على منطقة جديدة، ثم الإسكندرية إلى أن تصل البقاع المقدسة، ويشارك هناك الحجاج في المعرض الضخم الذي يتوافد إليه المسلمون من كل مكان، فتستبدل فيه مختلف المنتوجات[5].

أما عن التجارة مع أوروبا التي تتم عن طريق البحر، فقد كانت الجزائر خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، تصدر كميات وافرة من الحبوب وفي مقدمتها القمح

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص71.

[2] ارزقي شويتام: مرجع سابق، ص 223.

[3] حنيفي هلايلي: مرجع سابق، ص 158.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص 73.

[5] صالح عباد: مرجع سابق، ص 341.

والشعير، ومنتجات أخرى كالزيت والشمع والصوف والجلود والخضر[1]، وبالمقايل كانت الجزائر تستورد مجموعة متنوعة من منتوجات الخارج، كالقطن المغزول، والبهارات مثل الكمون، والمواد الممزوجة للصباغة والتلوين وغيرها[2].

وقد كان العائق الأساسي الذي عرقل النشاط التجاري مع أوروبا هو الاحتكار الحكومي، فقد كان الديوان اكبر تاجر في الإيالة فله الحق وحده في بيع الحبوب، فهو الذي يحدد السعر، ويحرم بيع المنتوجات للشركات الأجنبية إلا بفوائد تتراوح ما بين 50% إلى 60 %[3].

أعطى وليام شالر إحصائية عن قيمة الصادرات والواردات للإيالة مع الدول الأوربية لسنة 1822م، حيث بلغت الصادرات 273000 دولار إسباني، والواردات 12,00,00 بنفس العملة[4].

4- النظام الضريبي

كان الحكم العثماني، منذ تثبيت أركانه وإلى غاية القرن الثامن عشر، يركز على الغنائم البحرية، ولم يولي أية اهتمام حينها للسياسة الضريبية، ولكن مع تراجع الإيالة بحريا ونقص مواردها، الأمر الذي جعلها تتبع سياسة جديدة لتغطية العجز ولإيجاد مصدر دخل جديد يغطي حاجيات الدولة المتعددة[5].

كانت جباية الضرائب تختلف حسب وضعية الأراضي من حيث كونها ملكيات خاصة أو أملاك البايلك أو أراضي العرش، أو الأراضي التابعة للقبائل الممتنعة عن نفوذ السلطة[6]. فالملكيات الخاصة كانت تؤخذ عنها ضريبة العشور وتقدر قيمتها بصاع من القمح وصاع من الشعير عن كل جابدة، تحدد قيمتها من طرق قائد العشور، أما

---

[1] نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص147.

[2] وليم سبنسر: المرجع السابق، ص 144-145.

[3] حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص 158- 159.

[4] وليام شالر: المصدر السابق، ص ص 102-103.

[5] توفيق دحماني، صباح نور هادي لعبيدي: "إيالة الجزائر العثمانية: بين موارد البحر والضرائب"، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، ع 10، السنة الرابعة، جماعة سامراء، أكتوبر 2017، ص 132.

[6] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص 83.

الأراضي التابعة للبايلك فكان يؤخذ عنها محصول عيني اذا استغلت مباشرة باستخدام نظام الخماسة[1]، أما اذا كانت هذه الأراضي قد تم كرائها، فتدفع عنها ضريبة الكراء والتي لا تتجاوز 4 ريالات عن كل جابدة[2].

كما فرضت ضريبة اللزمة وهي ضريبة شخصية تؤخذ غالبا من القبائل الرحل، هذا وقد وجدت أنواع أخرى من الضرائب والتي تدفع في مناسبات مختلفة، كضريبة الدنوش والتي قسمها ابن ميمون إلى نوعين، الدنوش الكبرى وهي هدايا يأتي بها البايات لداي الجزائر كل ثلاث سنوات، والدنوش الصغيرة التي يأتي بها خليفة الباي إلى الجزائر مرتين كل سنة[3].

بالنسبة للضرائب الخاصة بالمدن فهي كثيرة منها رسوم النقابات المهنية والدكاكين، فقد كان كل دكان ملزم بتقديم رسم شهري مقابل نشاطه التجاري، قدر عشية الاحتلال بـ: 30 سنتيم عن كل دكان[4]، وأيضا الفوائد المترتبة عن أنظمة العمل التجاري من حقوق الجمارك، ورسوم المكس على الأسواق، وأرباح تصدير المواد الأولية التي تحتكرها الدولة[5]، فقد قدرت التعرفة الجمركية على الواردات من الخارج بنسبة 5% إذا كان المستورد يهوديا، أو من الأجانب الذين ينتمون إلى بلاد لا تربطهم معاهدات مع الجزائر[6]. بالإضافة إلى الرسوم المفروضة على أهل الذمة، ويراعي أمين أهل الذمة دفع هذه الرسوم نيابة عن أفراد طائفته، وبقدر قيمته بمعدل قرش واحد عن كل فرد[7].

5-العملة

---

[1] نظام الخماسة هو نظام يمكن للفلاح من العمل في الأرض لفائدة الدولة مقابل خمس الإنتاج. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 87.

[2] فارس العيد: "الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 05، جامعة طاهري محمد، بشار، جوان 2017، ص ص 153-154.

[3] محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 40.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص33.

[5] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص 101.

[6] وليام شالر: المصدر السابق، ص 102.

[7] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص 100.

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني عملات ونقود مختلفة ومتنوعة الوزن والحجم والقيمة منها الذهبية والفضية والنحاسية، هذا فضلا عن صك عملات باسم كل حكام أو عهد جديد إظهارا لنفوذه وقوته في الدولة، إضافة إلى هذه العملات كان هناك استخدام للعملات الأجنبية جنبا إلى جنب مع العملات المحلية.

امتلكت إيالة الجزائر دوري لضرب النقود، الأولى بمدينة تلمسان، ويعتقد أنها نفس الدار التي أصدرت المسكوكات الزيانية، والدار الثانية والرئيسية توجد في مدينة الجزائر في قصر الجنينة، غير أنها نقلت في أواخر العهد العثماني إلى القصبة[1].

ومن بين العملات التي كانت تضرب بهذه الدور، الدينار الذهبي[2]، الذي وجد منذ العهود الأولى للعثمانيين بالجزائر، والتي كانت على طراز السكة الزيانية من حيث الشكل والمضمون، فشكلا هي عبارة عن قطع دائرية، رسم داخلها مربعات مزدوجة، أما عن المضمون فقد احتوت على البسملة والتصلية وشهادة التوحيد مع القاب السلاطين[3].

كان صك النقود يختلف عن كل مرحلة وفي عهد كل سلطان، فيذكر الزهار أنه سنة 1820م، امر الأمير ببناء دار سكة جديدة داخل القصبة تحل محل الدار القديمة الموجودة بقصر الجنينة، فأنتقل إليها أمين السكة وبدأ بصنع المعادن على خلاف الطريقة القديمة، وأمره السلطان بصنع قطع السلطاني[4]، مكان الدينار[5].

كما وجدت هناك عملات فضية، وكانت هذه القطع تسك أيضا بدرجة فنية كبيرة، الوحدة الأساسية فيها كانت البوجو (Bucu) وتدعى أيضا ريال بوجو (Riyal Bucu)، تزن عشر غرامات، وتعني هذه الكملة السك أو التعامل، والقطعة الأكثر استعمالا هي الزوج بوجو (Zvev Bucu)، هذه القطعة التي يسميها الأوروبيون بالقطعة النقدية

---

[1] يمينة درياس: السكة الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1988، ص 43.

[2] الدينار من وحدات السكة الذهبية عند العرب، وهو فارسي الأصل، وينطق دِنَّارٌ بالتشديد، تكلمت بها العرب قديما فصارت عربية. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مج 4، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 293.

[3] يمينة درياس: مرجع سابق، ص 91.

[4] سلطاني (SULTANI) المصطلح استخدم للذهب العثماني المضروب في مصر وطرابلس وتونس والجزائر، نسبة إلى السلطان. ينظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 137.

[5] أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754-1830، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 147.

الجزائرية (Piaster of algiers)، ويسميها الناطقون بالعربية من شعوب الإمبراطورية العثمانية بالدورو الجزائري (Duru Cezayri)، وذلك للتفريق بينها وبين الدورو الإسباني (Duru Espanol)[1].

بالنسبة للعملات النحاسية، فلقد سكت إيالة الجزائر منها عدة أنواع، كالخروب (Karoub)، التي تصنع من النحاس الأبيض، ويوجد كذلك دراهم كبار وزوج دراهم صغار، هذه الأخيرة التي تعرف عن الأوروبيين بالآسبر (Aspers)[2]، وهي نقود صغيرة مربعة مسجل عليها أحرف عربية، 15 قطعة منها تعطينا 1 ريال إسباني[3].

أما العملات الأجنبية التي كانت متداولة في بالجزائر خلال هذه الفترة فقد ميزها تفوق العملة الإسبانية في التبادل النقدي عن باقي العملات بحكم قيمتها النقدية العالمية، ومن أهم العملات الإسبانية التي كانت مستعملة بالجزائر نذكر الدوبلن، وهو عبارة عن دينار مصنوع من الذهب، والدوكة التي كانت تعادل قيمتها الدينار الذهبي[4]، إضافة إلى عملات أخرى مثل الباستير التونسي والكوري السوداني[5]، كما كانت عملات الدولة العثمانية والمغرب متداولة أيضا في الجزائر، منها المحبوب العثماني، والسلطاني المغربي، والمثقال المغربي، وكانت العملة المغربية تستعمل بكثرة في الجهة الغربية للجزائر وفي المقابل انتشر استعمال العملة التونسية في الجهات الشرقية[6].

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية

1- الأوضاع الاجتماعية

أ- التركيبة السكانية

[1] وليام سبنسر: المرجع السابق، ص 153.

[2] يمينة درياس: مرجع سابق، ص 135.

[3] فاتح بالعمري: الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحالة، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ، كلية الآداب والحضارة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017، ص 322.

[4] فارس العيد: مرجع سابق، ص 157.

[5] محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت، ص 70.

[6] صالح عباد: مرجع سابق، 345.

إن تنظيم المجتمع الجزائري في العهد العثماني لم يكن تنظيما طبقيا على شاكلة ما عرفته أوروبا خلال العصور الوسطى، وإن كان هناك مجموعات حظيت بإمتيازات أدت إلى تقسيم المجتمع إلى فئات اجتماعية متباينة، حسب خصوصية ووظيفة ومكان إقامة كل فئة.

أما عن عدد سكان الإيالة أواخر العد العثماني، فيذكر شالر أن الآراء تختلف بشأن هذا الموضوع، والتقديرات لا تقوم على أساس تعداد السكان، بل هي تقريبية، ويعتقد أن عدد سكان البلاد أقل وليس أكثر من مليون[1].

وبالعودة إلى التركيبة السكانية فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

1- سكان المدن

1-1 الأتراك: مثل الأتراك إحدى الفئات الهامة في الجزائر منذ ارتباطها بالدولة العثمانية، وذلك من خلال هيمنتهم المطلقة على الجوانب العسكرية والسياسية داخل الإيالة، فقد كان منهم الوزراء والبايات والدايات وغيرها من المناصب الهامة[2].

وقد بلغ عددهم عام 1828م، سبعة آلاف وثمانمائة وستة وتسعون (7896) نسمة، موزعة على مختلف البايلكات[3].

1-2 الكراغلة: هم نتاج التزاوج بين الأتراك والجزائريين، كان توزعهم يختلف من منطقة إلى أخرى حسب مكان تواجد الثكنات العسكرية والأتراك بصفة عامة، ويذكر حمدان خوجة أنهم وجدوا بأعداد كبيرة في كل من مدينة الجزائر ومعسكر[4] ، في حين بلغ عددهم الإجمالي أواخر العهد العثماني 8688 نسمة، موزعة هي الأخرى على مختلف البايلكات[5].

---

[1] وليام شالر: مصدر سابق، ص 38.

[2] أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات (1659 – 1671)، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص 141.

[3] ارزقي شويتام: مرجع سابق، ص 84.

[4] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص ص 59- 64.

[5] ارزقي شويتام: المرجع السابق، ص 84

1-3 الحضر: يعتبر الحضر من أهم عناصر سكان المدن، و يتراوح عددهم ما بين الثلاثين والأربعين ألف[1]، وتتشكل هذه الفئة من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من أندلسيين وأشراف[2]، و الحضر ملمون بالعلوم ولكنهم لا يهتمون بها، فإذا حفظ احدهم القرآن وتعلم الكتابة وأصبح في مقدوره أن يفسر القرآن فإنه يعد عالما[3].

مارس أغلبهم التجارة، ويملك البعض الآخر منهم البساتين التي يعيشون من منتوجها وهم أحسن وضعية من غيرهم من الأهالي[4].

1-4 البرانية: هم الجزائريون القادمين من داخل البلاد نحو المدن الكبرى للعمل بها أو ممارسة التجارة[5].

تميزت تركيبة البرانية أو الوافدين على المدن بتنوع كبير، فهناك الوافدون من المناطق القريبة وما جاورها، كالبليدة وسهل متيجة والقليعة وشرشال ومليانة والمدية، كما قدم آخرون من بجاية وقسنطينة ووهران ومستغانم ومازونة ومعسكر.

كان يطلق عليهم نسبة إلى المنطقة التي وفدوا منها، حيث نجد القبايلي والعباسي والجيجلي والبسكري والأغواطي والمزابي والقسمطيني وغيره من المناطق[6].

اغلب أفراد طائفة البرانية كانوا يشتغلون في مهن متواضعة، ففي مدينة الجزائر كانت تختص كل جماعة بمهنة، فالأغواطيون اشتهروا بالقيام بأعمال النظافة، والبساكرة بالحمالة ونقل الأغراض والحراسة، والقبائل بأعمال البناء والجيجليلون بالخبازة[7]، والزنوج

[1] أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830- 1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 12.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص 97.

[3] أبو العيد دودو: المرجع سابق، ص 14.

[4] صالح عباد: المرجع سابق، ص 358.

[5] نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 143.

[6] عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000- 2001 م، ص 20.

[7] ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص 43.

الذين أصلهم من الأقطار السودانية يستخدمونهم في خدمة المنازل، وكانوا يحملون على الحمير البضائع والأثاث ومواد البناء كالرمل والجير والخشب[1].

1-5 الدخلاء:

1-اليهود: مثل اليهود عنصرا مهما داخل المجتمع الجزائري، والوجود اليهودي بالجزائر قديم، لكن بداياته غير معروفة على وجع التحديد فمن المؤرخين من أرجعه إلى 3000 سنة، وقد جاءوا إلى إفريقيا بعد المشاكل والإبادات التي حصلت في حقهم بالمشرق في ظل الحكم الروماني للمنطقة، وعرفت هذه الفئة بالتوشابيم[2].

أما عن الفئة الثانية والتي عرفت بالميغورشيم[3]، فقد جاءت المغرب الإسلامي بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، واستقطبت الجزائر عدد كبير منهم خاصة في القرن 18م قادمين من مدينة ليفورن الإيطالية، وأرتفع شأنهم الاقتصادي بالجزائر من خلال بيع وشراء الغنائم البحرية، وكذلك السمسرة والوساطة التجارية التي كانوا يمارسونها[4].

ومع بداية القرن التاسع عشر استولى اليهود على مقاليد التجارة الداخلية والخارجية للإيالة بموافقة الدايات، فالمفاوضات التي كانت تقام مع الدول الأوروبية تتطلب معرفة باللغات والمعاملات التجارية الأمر الذي كان يفقهه اليهود ويفوق إمكانية حكام الجزائر، وكانت نتيجة هذا الأمر أن تجار الجزائر المسلمين احتلوا مكانة ثانوية في تجارة بلدهم[5].

2- المسيحيين: كانوا ينقسمون إلى فئتين، فئة الأحرار أو الطلقاء التي تتكون من القناصل، وموظفي القنصليات والإرساليات ووكلاء المؤسسات التجارية، والتجار، وفئة الأسرى[6].

---

[1] نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 143.

[2] كمال بن صحراوي: الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستار في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية ، قسم التاريخ، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، 2007-2008، ص ص 13-14.

[3] لفظة الميغورشيم عبرية ومعناها المطرودون، ينظر: كمال بن صحراوي: المرجع نفسه، ص 22.

[4] مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان: "أوضاع الجزائر خلال الحكام العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية و الحضارية ، مج 5، ع 16، جامعة تكريت، افريل 2013، ص 427.

[5] حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص 161-162.

[6] ارزقي شويتام: المرجع السابق، ص 66.

كان للأحرار من التجار العديد من الأنشطة الاقتصادية في الجزائر، فقد امتلكوا مستشفيات وكنائس وفنادق ومخازن، وعملات يتعاملون بها وبضائع يتاجرون بها، وعمال من الجزائريين يعملون عندهم في بيوتهم وإدارتهم، ونفس الشيء ينطبق على القناصل الذين كان لهم عمال جزائريين كتراجمة، ومرافقين، أو مقيمين معهم في أماكن العمل[1].

بالنسبة للأرقاء أو الأسرى، فقد كانوا مسخرين للخدمة في قصور الدايات والحانات والسجون، أو التجديف في السفن وفي رعاية البساتين، وكانوا قبل القرن السابع عشر يمثلون موردا اقتصاديا هاما للخزينة العامة عند افتدائهم من طرف دولهم[2].

قام العديد من الأسرى بالجزائر بتدوين مذكرات حول يومياتهم خلال الأسر، ومثال ذلك سيمون بفايفر الذي اسر بالجزائر حوالي خمس سنوات، قضاها كلها في خدمة قصر الداي وقد اصدر كتابا بعنوان "رحلتي وسنوات اسري الخمس بالجزائر"[3]، كذلك نجد جيمس كاثكارت الذي هو الآخر أسر بالجزائر، ذكر أنه كان يعامل معاملة العبيد بعد أن فرضت عليه القيام بأعمال شاقة مثل حمل الأثقال، إنزال الأسلحة من السفن[4].

2- سكان الأرياف

شكل سكان الريف غالبية سكان الجزائر في العهد العثماني، حيث كانت نسبتهم تتراوح ما بين 90% إلى 95% من إجمالي مجموع السكان، وقد انقسموا إلى فئات أو مجموعات، أو قبائل مختلفة حسب الامتيازات أو القوة أو العلاقة مع السلطة (ينظر الجدول رقم 01).

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 150.

[2] حنيفي هلالي: المرجع السابق، ص 173.

[3] سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 6.

[4] جيمس لندر كاثكارت: مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 108- 109.

1- قبائل المخزن[1]: ظهرت في الفترة الإسلامية التي أعقبت حكم الموحدين، وحافظ عليها الحكام الأتراك وأعطوها صلاحيات واسعة منذ أواخر القرن السابع عشر ميلادي، بهدف القيام بخدمات ومهام كانوا في حاجة إليها مثل ضمان الأمن والاستقرار، واستخلاص الجباية من سكان الريف، مقابل نيل الأراضي وحيازة المراعي والإعفاء من الضرائب الغير الشرعية[2].

2- قبائل الرعية: هي القبائل التي لم تحظى بأي امتياز من السلطة التركية، وهي التي كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة، كانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تخضع للسلطة المركزية[3].

تعرضت هذه القبائل للاضطهاد والإكراه و القسر والاستغلال المستمر من طرف رجال البايلك وفرسان المخزن، فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة وأرغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، ومنع عليها الاتصال بالقبائل المعادية للبايلك أو الممتنعة عن نفوذه[4].

3- القبائل البعيدة عن نفوذ الحكام: وهي المقيمة في الجهات النائية، المناطق الجبلية والأقاليم الصحراوية، سواء منها القبائل المتعاونة أو المعادية للسلطة، وهي تشكل تجمعات قبلية كبيرة تعرف بالأحلاف[5]، هذه الأخيرة كانت تمثلها الأسر الإقطاعية الكبيرة كأسرة المقراني بمجانة، وبوعاكاز بالزيبان، وقد كانت هذه الأسر تتمتع بنوع من الاستقلال.

---

[1] المخزن في الأصل، مكان لخزن البضائع والمؤن، ثم صارت هذه الكلمة تطلق للدلالة على القوة التي يستعملها الداي لفرض سلطانه، وتتألف من العناصر التركية وبعض من أفراد قبائل العرب والبربر. ينظر: مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة لنشر، الجزائر، 2007، ص 81.

كما عرف المزاري المخرن بقوله:(إن المخزن هو الناصر للدولة كيفها كانت وحيثما وجدت وباتت .... وسمي بذلك لأنه يخزن بصدره ما يؤلمه إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه، وقد يطلق المخزن مجازا على دار الحكم نفسها ...)). ينظر: الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 31.

[2] ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،،، ص 62.

[3] صالح عباد: المرجع السابق، ص 367.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص 107.

[5] ناصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،،، ص 63.

ويمكن إدراج ضمن هذه الفئة الأسر الدينية التي كانت تقوم بدور الوساطة بين القبائل المتمردة والسلطة الحاكمة، وكانت هذه الأسر تحظى باحترام كبير لدى الأهالي[1].

جدول رقم 01: أعداد القبائل في مختلف بايلكات الجزائر[2].

اسم الجماعة	دار السلطان	بايلك التيطري	بايلك الغرب	بايلك الشرق
المخزن المحاربة المخزن الفلاحية	19	9 5	36 10	25 22
الرعية	11	23	56	14
المتحالفة أو الموالية	20	12	29	25
المستقلة	23	13	26	138
المجموع	73	62	157	224
				516

ب- الأوضاع الصحية

وقعت في الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من الجوائح التي نتج عنها خسائر كبيرة في الأرواح وفي الحياة المادية، ولم يقتصر الأمر على العاصمة بل كان شاملا لجميع أنحاء البلاد، وتشمل هذه الجوائح الطاعون والزلازل والجفاف والمجاعات والجراد[3].

ذكر الزهار انه سنة 1770-1771م قد وقع الغلاء في القمح عدة سنوات، نتيجة القحط الذي حصل، حيث أصبح الناس يموتون جوعا في الأسواق، غير أنه لم يبين السبب الحقيقي لهذا القحط هل كان نتيجة قلة المطر أو كثرته[4]، ونجد أيضا صالح العنتري الذي تحدث عن المجاعة التي حصلت سنة 1804-1805م، والتي أضرت أهل قسنطينة

[1] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص 83.

[2] ارزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته،،، ص 71.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 166.

[4] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 31.

وأستمر هذا الوضع لثلاث سنوات، فيبس الزرع وقل الحصاد، وأصبح الناس يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يباح[1].

إضافة إلى الجفاف وجد مرض الطاعون، الذي ورد في المصادر تحت اسم الوباء، انتشر بكثرة خاصة في القرن 18م، فقد جاء الجزائر عن طريق المراكب البحرية، ففي سنة 1786-1787م انتشر الطاعون بعد اختفاء لسنوات، حتى وصل الأموات أحيانا خمسمائة جنازة يوميا، ودام لمدة عشر سنوات[2]. كما أودى هذا الوباء بحياة العديد من العلماء الجزائريين أمثال بركات بن نعمان، عبد اللطيف المصباح، وبركات بن عبد المومن[3].

انتشرت كذلك الزلازل والهزات الأرضية، ولعل أشهرها زلزال البليدة سنة 1825م، فقد استمرت هزاته المدمرة لمدة ثمانية عشر يوما، بحيث أنها تكررت في ليلة من الليالي أكثر من عشر مرات، فدمر البنايات والمنازل ما جعل المزارعين يغادرون أراضيهم، الأمر الذي دفع الأغا إلى بناء مدينة جديدة بعيدة عن المدينة التي هدمت بسبب الزلزال[4].

كما ذكر ابن سحنون الراشدي زلزال وهران الذي حدث سنة 1790م، واستمر عدة أيام مما أدى إلى تهديم جزء كبير من دور وهران وبناياتها والتي كانت ملكا للنصارى آنذاك[5].

2- الأوضاع الثقافية

تميزت الأوضاع العلمية عموما أواخر العهد العثماني بسيطرة العلوم الشرعية، من فقه وأصول وحديث، والعلوم الصوفية، وكذلك بعض المجالات الأدبية، كالنحو والنثر الأدبي والشعر.

أما عن العلوم العقلية فيذكر شالر أنه لا جدوى من الحديث عنها، فهي لم تكن موجودة، حتى علم الطب لا يوجد من يدرسه ويمارسه، إلا إذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز[6]،

---

[1] صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 33-34.

[2] احمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 51.

[3] صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، طبعة خاصة، تح: يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر، الجزائر 2009، ص 36.

[4] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 155.

[5] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2013، 219.

[6] وليام شالر: المصدر السابق، ص 81.

ويتجلى هذا الجمود الفكري والركود الثقافي في قول أبي راس الناصر: "إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده ودست مصادره وموارده وقبلت دياره ومراسمه، وعفت أطلاله ونسجت عنها عناكب النسيان وأشرفت شمسها عن الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول"[1].

كان يوجد بالجزائر عدد قليل من الأطباء، ويعرف الطبيب باسم "tibibs"، ويطلق على طبيب الداي اسم الإمام"emim"، وطريقة العلاج كانت تتم غالبا بواسطة الأعشاب المتوفرة في الطبيعة بحيث تركب منها أدوية لمختلف الأمراض، كما اختلطت الخرافة بالطب في هذه الفترة، فقد اعتقد بعض الناس أن تبركهم بولي صالح أو شرب ماء بئر معينة يشفيهم من أسقامهم التي يعانون منها[2].

وبرر صاحب تحفة الزائر أن عدم اهتمام الجزائريين بتحصيل الطب راجع إلى طبيعة مناخ البلاد، فهي معتدلة الهواء لا يزيد حرها ولا بردها زيادة مضرة وفصولها في جميع السنين تأتي على قدر من الاعتدال، وعلى حسب اعتدالها اعتدلت أمزجة أهلها، وقلت أمراضهم[3].

لم تختلف العلوم الأخرى من علم الفلك والحساب عن الطب من حيث المستوى، فقد كانت هي كذلك حبيسة تقليد السابقين ولم يكن ممارسوها يتمتعون بالاستقلال العقلي وروح الابتكار، ما جعل الرحالة الأجانب يتهمونهم حتى بممارسة السحر والشعوذة والتخلي عن أفكار أجدادهم الإبداعية التي شاعت في العصر العباسي[4].

المؤسسات التعليمية

[1] أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تح: محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، د.ت، ص ص 23-24.

[2] عبد الحميد عمران: "قبائل الشرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (THOMAS Shaw)، من خلال كتابة (رحلة في إيالة الجزائر)"، المجلة التاريخية الجزائرية، ع5، جامعة محمد بوضياف، ديسمبر 2017، ص ص 65-66.

[3] محمد باشا ابن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، تح: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص 33.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1800، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 401.

كانت الثقافة موزعة على سبع مراكز حسب ابن ميمون، كل منها يقوم بوظيفة حسب ما تتطلبه الظروف وهي الكتاتيب، والزوايا والمساجد، المدارس، الدكاكين التجارية التي كانت تستعمل نهارا للبيع وفي الليل للمسامرات الأدبية، والأندية المنزلية التي كانت في منازل وجهاء البلد، وأخيرا المكتبات العامة والخاصة[1].

ومن أهم المساجد التي أدت الدورين العبادي والتعليمي نذكر الجامع الأعظم بالعاصمة، و مسجد كتشاوة، الجامع الأعظم بتلمسان، و جامع بجاية وجامع قسنطينة[2]، إضافة إلى ذلك الزوايا التي كانت منتشرة في معظم المناطق الجزائرية والتي أدت هي الأخرى دورا تعليميا ومن أهمها زاوية عبد الرحمان الثعالبي وعبد القادر الجيلاني بمدينة الجزائر، وزاوية سيدي الكتاني، وزاوية خنقة سيدي ناجي بقسنطينة، زاوية معمر السنوسي بتلمسان، وزاوية تيزي راشد ببجاية[3].

وبالحديث عن علماء هذه المرحلة فقد عرفت البلاد عددا كبيرا منهم أمثال أحمد ابن سحنون الراشدي(ت1211هـ/1796م) ومؤلفه الشهير "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، يوجد أيضا مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/1831م)، كان ذو معرفة بالعلوم الفقهية والفنون الأدبية، كذلك أبو العباس احمد بن هطال التلمساني، تولى الكتابة لدى باي الغرب محمد الكبير، ودون الرحلة التي شارك فيها مع باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي[4].

[1] محمد بن ميمون الجزائري: المصدر السابق، ص ص 58-61.

[2] أحمد بحري: "ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع9، د.م، 2012، ص 269.

[3] ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1800، ج1،، ص ص 263-265.

[4] رشيد مريخ: "ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 12، د.م، ديسمبر 2017، ص 238.

الفصل الثاني: ثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني

أولا: الطرق الصوفية وعلاقتهم بالإدارة العثمانية

ثانيا: ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري 1804-1807م

ثالثا: ثورة الشريف الدرقاوي بالغرب 1805- 1809م

الفصل الثاني: ثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني

أولا: الطرق الصوفية وعلاقتهم بالإدارة العثمانية

حظيت فئة المتصوفة، التي كانت متمثلة في المرابطين والأشراف وشيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم من المريدين بمكانة كبيرة لدى السلطة العثمانية، وكان هذا طيلة العهود الأولى للحكم العثماني بالجزائر، غير أن هذه العلاقة لم تدم في ودها طويلا لتصبح مع مطلع القرن 18م علاقة عدائية، وذلك نتيجة الظروف التي كانت تمر بها البلاد.

1- مرحلة التقارب بين السلطة العثمانية والسلطة الروحية

تميزت العلاقة بالانسجام والتعاون عموما بين السلطة الحاكمة والمتصوفة، طيلة الفترة التي سبقت التحرير الكامل للمواقع التي كانت محتلة، وقد غلب على هذه العلاقة طابع الجهاد ضد الغزاة وخاصة الإسبان منهم[1].

وما يلاحظ أن الأتراك كانوا يطمئنون إلى رجال الدين ورجال الطرق الصوفية أكثر من غيرهم، فيلجئون اليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على مخططاتهم مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين فهذا بيري رايس العثماني[2] يذكر أنه قد نزل سنة 1496م بمدينة بجاية ولجأ إلى زاوية الشيخ محمد التواتي[3]، وظل دائم الزيارة لبجاية كونه يحس بالأمن فيها لحماية الشيخ لها[4].

---

[1]- محمد شاطو: "السلطة العثمانية بالجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792-1830" مجلة المواقف للبحوث والدراسات، ع 03، د.م، ديسمبر 2008، ص 159.

[2] " بيري رايس،هو محي الدين الحاج محمد والمعروف ببيري رايس، ويعني هذ الاسم القائد البحري، لا يوجد تاريخ دقيق لسنة ولادته إلا أنه ولد على الأرجح مابين عامين 1465، 1470م بتركيا، خاض العمليات البحرية مدة أربع عشر عاما في غرب البحر المتوسط، وقام بدور كبير في مساعدة مسلمي الأندلس، وصد هجمات البرتغاليين والإسبان، استمر في الجهاد تحت راية الدولة العثمانية إلى غاية وفاته سنة 1554". ينظر: رابحة محمد خيضر: "من أعلام الجغرافيا البحرية العثمانية محي الدين بيري ريس"، مجلة التربية والعلم، مج 12، ع 04، جامعة الموصل، 2009، ص ص 62-63.

[3] "هو عبد الله بن زيان التواتي لقبا، أصله من المغرب، انتقل إلى جبل زواوة ببجاية، كانت له بالنحو دراية ومعرفة، وكانت شهرته بقسنطينة وبها انتشر علمه وأقبل إليه الطلاب وانتفعوا به، انتقل بعدها إلى تونس أين درس هناك إلى أن توفى بها بمرض الطاعون سنة 1622". ينظر: عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ط 1، تح: أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص ص 57-59.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،،، ص 464.

كما كسبت الحكومة العثمانية دعم العديد من المشايخ والصلحاء أمثال محمد بن مغوفل[1]، الذي تم إبلاغه عن خطط العثمانيين لفتح تلمسان وطلبوا منه التوجه معهم إلى هناك، فرفض ولكنه ارسل معهم ولديه علامة منه على الرضا والتأييد[2].

لم يتوقف الأتراك عند كسب رضا واحترام هؤلاء المرابطين فقط بل صاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات وأثمنها، وصارت أماكن سكناهم وضرائحهم بعد الموت مقدسة، كما أن القانون لا يمس من لجأ اليها[3]، وبهذا نجحت حكومة الأتراك في اكتساب دعمهم ومساعدتهم أو على الأقل كانت تكتسب حيادهم في بعض الحالات[4].

2- توتر العلاقة بين السلطة العثمانية والطرق الصوفية

عرفت الجزائر أواسط القرن 18م ضعفا كبيرا في مداخيل الخزينة العامة، وذلك بسبب نقص غنائم الجهاد البحري لذلك اضطرت الحكومة العثمانية إلى فرض نظام ضريبي على السكان لتغطية هذا العجز، غير أن هذا النظام لم يكن عادلا ولا يراعي القائمون عليه طبيعة الإنتاج ولا وضعية الفلاحين وحالتهم، فهم لا يأخذون بعين الاعتبار إلا متطلبات الخزينة وحاجة الموظفين، وهذا ما زاد من شقاء وبؤس الفلاحين[5].

يذكر العنتري أن العثمانيين اتبعوا سياسة مجحفة في حق السكان أواخر العهد العثماني، وجاء في قوله: "...ذلك أن الأتراك في بدء أمرهم لم يتمكنوا من الوطن كل التمكن عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحدا، وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس ويسفكون دمائهم ويأخذون أموالهم بغير حق..."[6].

---

[1] "محمد أبو عبد الله بن محمد ابن الواضح ابن فكرون بن القاسم، من صلحاء الشلف، ولد بها سنة 1792م، وتوفي هناك عام 1818م، كان ذو مكانة عالية وذو مهابة كبيرة بين أواسط مجتمعه من الخاصة والعامة، وكان مهاب الجانب حتى من السلطة العثمانية". ينظر: حمداد بن عمر: "محمد أبو عبد الله المغوفل (828-932هـ) والتعريف بتأليفه فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 04، ع 05، جامعة وهران، د.ت، ص ص 102-103.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،،، ص 466.

[3] حمدان خوجة: مصدر سابق، ص 73.

[4] كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر: جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.م، 2007، ص 72.

[5] ناصر الدين سعيدوني، المهمدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص 33.

[6] العنتري: فريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مصدر سابق، ص 130.

إن هذه السياسة التي انتهجها العثمانيون في مواجهة الأزمة الاقتصادية في آخر عهدهم، كانت انعكاساتها سلبية على المجتمع، وكانت آثارها جسيمة على العلاقة بينها وبين رجال الصوفية، فلم تستطع المحافظة على وتيرة تعاملها المعهودة معهم، فازداد التباعد يوما بعد يوم، مما دفع في نهاية المطاف بزعماء الطرق الصوفية إلى الوقوف بجانب السكان المتذمرين من سياسة الأتراك، بل قادوهم إلى ثورات وتمردات[1].

وثورات رجال الطرق الصوفية، كان في واقع الأمر بمثابة رد فعل لانشغال السلطة الحاكمة بأزماتها الداخلية والخارجية عن تقربها المعهود اليهم عن طريق الهدايا، والزيارات، وطلب صالح الدعوات، وإعفائهم من الضرائب من جهة وعلى التكاليف الضريبية التي أرهقت كاهل الأهالي وفيهم المريدين والأتباع والمحبين لهم من جهة أخرى[2].

ويفسر تبني رجال الطرق الصوفية للثورة في هذه الفترة، أن العثمانيين حلفاءهم السابقين قد أخلوا بالقاعدة الدينية التي تتمثل في المساواة. فتواطئوا مع التجار اليهود، والأجانب من الأوربيين أصحاب الامتيازات، فنظروا إلى هذه الثورة على أنها واجب شرعي[3]، إضافة إلى الأوضاع الاجتماعية التي عرفتها البلاد، كالمجاعات التي أثرت على الحالة الصحية للمجتمع، وادت بدورها إلى انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، وهو الأمر الذي لم تبدي له السلطة العثمانية أية اهتمام[4].

ثانيا: ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري 1804-1807م

كانت الدرقاوية من أقوى الطرق الصوفية في الجزائر، وكان مركزها الرئيسي في جبال الونشريس وجنوب التيطري، ولها أتباع كثيرون في غرب الجزائر، وعلاقات وطيدة بسلاطين المغرب، وقد ابدى الدرقاويون مقاومة عنيفة ضد الأتراك حتى صار تعبير "عاصي" يوزاي تعبير درقاوي[5].

---

[1] محمد شاطو: مرجع سابق، ص 163.

[2] نفسه، ص 165.

[3] حنيفي هلايلي:"ثورة الدرقاوة في الغرب الجزائري خلال عهد الدايات"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 115، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2004، ص 124.

[4] فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 128.

[5] حنيفي هلايلي: "ثورة درقاوة في الغرب الجزائري خلال عهد الدايات،،، ص 125.

1- التعريف بشخصية ابن الأحرش

هو محمد بن عبد الله الشريف[1]، وقد أجمعت مختلف المصادر التاريخية عن أصله المغربي، ويقول أحمد بن مبارك أنه رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس[2]،كما جاء على ذكره بن يوسف الزياني حيث قال: "...ابن الأحرش فتى مغربي، مالكي المذهب، درقاوي[3] الطريقة، جاء إلى تلك القبائل وادعى أنه المهدي المنتظر..."[4]، ونفس النسب أورده كذلك صاحب تحفة الزائر بقوله انه من عرب المغرب الأقصى[5].

إن هذه النسبة لا تعني قطعا أنه من تلك البلاد، فقد جرت العادة في الفترة الإسلامية وحتى أوائل عهد الاحتلال أن كل غريب يدعي النسب الشريف ويدعو إلى طريقته، وذلك لكي يكسب لنفسه مكانة في أعين العامة، ويسبغ على حركته نوعا من المهابة ويبعد عن نفسه الانتماء الجهوي أو الانتساب القبلي الذي يتسبب في حدوث المنافسات والعداوة بين القبائل المختلفة[6].

عرف عند عامة الناس بالبودالي[7] أو ابن الأحرش[8]، وكان رجل في مقتبل العمر طويل القامة أشقر اللحية موفور الصحة، يتصف بالحيلة والطموح والمكر، ويشتهر ببلاغة أسلوبه في الحديث وفصاحة لسانه في مخاطبة الناس، ويتميز عن غيره بسعة افقه وشجاعته وقدرته على الأقناع[9]، وقد وصفه المزاري بقوله: ".. ادعى انه المهدي المنتظر، وكان صاحب شعوذة وحيل

---

[1] العنتري: مجاعات قسنطينة، مصدر سابق، ص 29.

[2] أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ قسنطينة، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011، ص 111.

[3] تنسب الطريقة الدرقاوية إلى مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي، ولد ببني زروال بالمغرب عام 1737م، وبها توفي سنة 1833م، وأخذ اسم طريقته عن جده الذي يطلق عليه أبي درقة، وتعني الدرع وما يتقى به من السيف. ينظر: العربي الدرقاوي: مجموعة رسائل مغربية، تح: بسام بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص ص 32-36.

[4] بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 271.

[5] محمد باشا ابن عبد القادر الجزائري: مرجع سابق، ص 113.

[6] ناصر الدين سعدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2 ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 266.

[7] البودالي، هو مصطلح صوفي يطلق على الشخص المنسوب لفئة الأولياء، ممن جاز على الإذن المعنوي بالتصرف في مصالح الناس وإعانتهم، ثم أطلق فيما بعد على مدعي ذلك، وهو مأخوذ من الكلمة العربية "بدل"، ولها معاني أخرى مثل الأحمق أو الدرويش. ينظر: سهيل صابان: مرجع سابق، ص 12.

[8] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 90.

[9] ناصر الدين سعدوني: ورقات جزائرية،،، ص 266.

وخبر، يبدل بها الأشياء لشيء الذي يريده فورا... فرأت الناس منه العجاب، فنصروه وعقدوا له البيعة حزبا حزبا..."[1]

أما عن تاريخ ظهوره على مسرح الأحداث، فإن ذلك يعود إلى عام 1800م، العام الذي قاد فيه وفدا من الحجاج المغاربة إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وعند عودته صادف الحملة الفرنسية على مصر (1799-1801م)[2]، وقيل انه جمع جيشا من أعراب المغرب وإفريقيا وانضم إلى جنود المصريين للقتال، وأبلى في تلك الحروب بلاء حسنا فاكتسب شهرة واسعة بلغت حتى البلاد المغاربية[3].

أفل بعد ذلك ابن الأحرش عائدا إلى المغرب، وفي طريقه توقف بتونس، أين استقبله حمودة باشا[4] صاحب تونس، والذي كانت له دسيسة ضد ملوك الجزائر، فأكرم نزل ابن الأحرش وأحسن ضيافته، وقام باستغلال طموحه وشجاعته وحرضه ضد ملوك الجزائر قائلا: "..إن رجلا شجاعا مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ونحن نمدك ما يخصك والعرب يتبعونك بكثرة ما ظلمهم الأتراك..."[5].

عاد ابن الأحرش إلى الجزائر عن طريق عنابة، والتي قدم إليها على ظهر سفينة إنجليزية، ثم تحول فيما بعد إلى قسنطينة حيث قضى فيها بعض الوقت وأطلع على أحوالها، بعدها توجه إلى مدينة جيجل، أين استقر بها وبدأ تخطيطه للثورة، واتصل بالقبائل الجبلية التي تقطن المناطق الواقعة ما بين جيجل والقل وميلة، ولم يلبث أن اكتسب الأنصار والمؤيدين في مختلف قبائل تلك الجهة[6].

2- أسباب قيام ثورة ابن الأحرش

---

[1] المزاري: مصدر سابق، ص 299.

[2] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 90.

[3] محمد باشا: مرجع سابق، ص 113.

[4] "حمودة باشا، هو الأمير أبو محمد حمودة بن علي، ولد سنة 1759م، وتربي في حجر ملك والده الذي كان حاكم تونس آنذاك، اعتلى الحكم بعد وفاة والده سنة 1782، عرف عهده العديد من الإصلاحات الداخلية، توفي سنة 1814. ينظر: أبي عبد الله محمد بن عثماني السنوسي: مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج 1، ط 1، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص ص 118-122.

[5] الزهار: مصدر سابق، ص 85.

[6] ناصر الدين سعدوني: ورقات جزائرية،،، ص ص 267-268.

تعتبر السياسة الضريبية التي استحدثتها السلطة العثمانية السبب الرئيسي في قيام مختلف الثورات داخل البلاد شرقها وغربها، فقد كانت هذه الضرائب غير محدد لا من حيث الكم ولا النوع وغير مراعية لوضعية الفلاح، إضافة إلى ذلك طريقة استخلاص هذه الضرائب، والتي كانت تتم بالعنف واستعمال القوة، ووصل الأمر إلى إتلاف المحاصيل وحرقها وقتل السكان ومواشيهم في حالة ما اذا رفضوا دفع الضرائب، ما اضر كثيرا الاقتصاد بالأرياف القسنطينية[1].

– توفر عنصر الزعامة في شخصية ابن الأحرش، فقد اظهر شجاعة وطموحا كبير، إضافة إلى المزاعم التي كان يقوم بها والتي ذكرت في مختلف المصادر، ومثال ذلك في قول أحمد بن المبارك:"...وأظهر لهم أمورا يزعم أن بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكاحلهم وغرهم بأمثال هذا الكلام.."، الأمر الذي جعل الأهالي يلتفون حوله[2].

– حدوث القطيعة بين المرابطين والسلطة الحكامة خاصة بعد تحرير وهران 1792م، فقد كان الجهاد ضد الغزاة يعتبر مصدر التحالف[3]، وفي المقابل قامت سلطة الأتراك بالتحالف والتواطئ مع التجار اليهود والأجانب والأوروبيين أصحاب الامتيازات، بينما نزعوا عن المرابطين امتيازاتهم السابقة ما جعلهم يثورون ضدهم كونهم قد اخلوا بالقاعدة الدينية المتمثلة في المساوات الإسلامية[4]، ومثال ذلك عبد الله الزبوشي منتمي إلى الطرقة الرحمانية التي كانت بميلة، تحالف مع ابن الأحرش لأنه كان ناقما على حاكم قسنطينة عثمان باي[5]، بسبب سحب منه الإعفاء الضريبي[6].

– الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الإيالة الجزائرية أواخر القرن الثامن عشر، كالزلازل، وانتشار الأوبئة والأمراض، وقد ذكرها بن سوف الزياني في قوله: "...ولا حادثة أشد من غلاء الأسعار، وفناء الأعمار، وكثرة الفساد، والعوابث..."[7]

---

[1] فلة القشاعي: مرجع سابق، ص 122.

[2] احمد ابن مبارك: مصدر سابق، ص 111.

[3] عبو إبراهيم: "الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش انموذجا"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع 01، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، د.ت، ص 300.

[4] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 26.

[5] "هو عصمان باي (1803–1804م) كرغلي ابن محمد بن عثمان الكبير باي وهران، خلف أباه على بايليك وهران خمس سنوات، ثم نقل وعين على بايلك الشرق القسنطيني. ينظر: أحمد بن المبارك: مصدر سابق، ص 112.

[6] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2،،، ص 222.

[7] محمد بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 292.

– انتشار الطريقة الدرقاوية بالجزائر قادمة من المغرب، واستقطبت عددا من العلماء الذين اصبحوا من مريديها، فتوسع نطاقها بزيادة الزوايا والمريدين التابعين لها، وقد كانت هذه الطريقة تلقى دعم ومؤازرة سلاطين المغرب للوقوف ضد الحكم العثماني في الجزائر[1].

– الصراع التونسي الجزائري، فقد كان حمودة باشا الحسني يكن العداء لحكام الجزائر، غير أنه لم يظهر ذلك في الأول لأمرين، خوفا من حكام الجزائر لقوتهم، والتزاما بوصية أبيه الذي طلب منه أن لا يجعلهم عدوا له، لكونهم ارجعوا له ملكه بعد أن أخذه منه ابن عمه، ولكن مع رؤية حمودة باشا لابن الأحرش وشجاعته، استغل هذه الفرصة وحرضه على الثورة ضد حكام الجزائر[2].

– توفر الظروف الدولية المساعدة على الثورة، وذلك للتنافس الشديد الذي كان قائما بين الدول وفي طليعتها إنجلترا وفرنسا، على اكتساب مناطق النفوذ ونيل المزيد من الامتيازات في الولايات العثمانية، ومن جملتها إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب[3]، ولهذا فإن المؤرخين الفرنسيين يتهمون الإنجليز بتحريك ثورة ابن الأحرش لأن فرنسا كانت تربطها علاقة وطيدة بإيالة الجزائر من خلال إبرام العديد من الصفقات، لهذا رأت أن ابن الأحرش يلتقي مع سياسة الإنجليز في إفساد خطة الفرنسيين في التسرب إلى الجزائر[4].

– تأثر ابن الأحرش بالفكر الوهابي الذي كان سائدا في الحجاز، والمناهض للوجود العثماني هناك، فقد استلمت تونس مذكرة الوهابيين التي ضمنوها تعاليم دعوتهم، كما أن تلك المذكرة انتقلت إلى المغرب الأقصى، ولا شك أن ابن الأحرش قد اطلع عليها في الحجاز أو في تونس عندما استقبله حمودة باشا[5].

3- التحضير وانطلاق ثورة ابن الأحرش

[1] زينب جعني:" ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807)"، مجلة عصور جديدة، ع 18، جامعة وهران، أوت 2015، ص 130.

[2] الزهار: مصدر سابق، ص 85.

[3] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 284.

[4] عبد الله شريط، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط 1، مكتبة البعث، قسنطينة، 1956، ص ص 130-131.

[5] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 93.

استقر ابن الأحرش بزاوية سيدي الزيتوني بناحية جيجل لتفقيه الناس، وتأسيسه بعد ذلك معهدا ببني فرقان لتلقين الصبية القرآن وتعلم مبادئ الفقه[1]، كما كانت احاديثه عن حرب مصر ضد فرنسا تجذب إليه سكان المدينة، واستغل الفرصة لتحريض الناس ضد الأتراك ودعوتهم لمحاربتهم كما حارب المصريون الفرنسيين[2].

إن انتساب هذه الحركة للزوايا الصوفية، وتبني الزوايا لهذه الحركات، جعل عملية التجنيد تكون سهلة نوعا ما، لأن القاعدة الدينية هي الوحيدة التي من شأنها أن تجند الجماهير الشعبية في الجزائر ولهذا استغل ابن الأحرش هذه الوسيلة معرفا نفسه على أنه منتسب إلى الطرقة الدرقاوية[3].

ومما ساعد ابن الأحرش في اكتساب وتأييد هذه القبائل أمثال أولاد عبدون وبني مسلم وبني الخطاب بجيجل(ينظر الخريطة رقم01)، هو قيامة بمحاربة النصارى، فسلح عدة سفن بيمناء جيجل وأرسلها لتعقب البواخر الفرنسية التي اعتادت التردد على سواحل القل وجيجل، وقد تمكنت احدى السفن التابعة لابن الأحرش في شهر جوان 1803م من الاستيلاء على سفينة فرنسية، واسر بعض من ركابها، وتوجه بهم حيث يقيم بناحية واد الزهور[4]، وهذا ما دعم موقفه في تلك القبائل[5].

بعد هذه الغزوة الناجحة، قرر ابن الأحرش أن يعلن الحرب على السلطة الحاكمة، وقد قيل أنه انتظر الصلاة الذي اجتمع فيها عدد كبير من أنصاره ليأمر أحد اتباعه المقربين بأن يختبئ في أحد القبور ويكلم الناس بقوله أنه حان الوقت الذي سيخلصهم الله من الأتراك، وأن ابن الأحرش صاحب الوقت سيحرركم منهم[6].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 268.

[2] صالح عباد: مرجع سابق، ص 195.

[3] عبد الله شريط، محمد الميلي: مرجع سابق، ص 131.

[4] يقع واد الزهور بين جيجل والقل، وهو واد حصين بكثرة أشجاره وعظم جباله وتشعب طرقاته. ينظر: العنتري: فريدة منسية،، ص ص 70-71

[5] ناصر الدين سعيدوني:" ثورة ابن الأحرش بين التمرد والانتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة الجزائرية، ع 78، د.م، ديسمبر، 1983، ص 203.

[6] ارزقي شويتام ، نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 94.

خريطة رقم 01

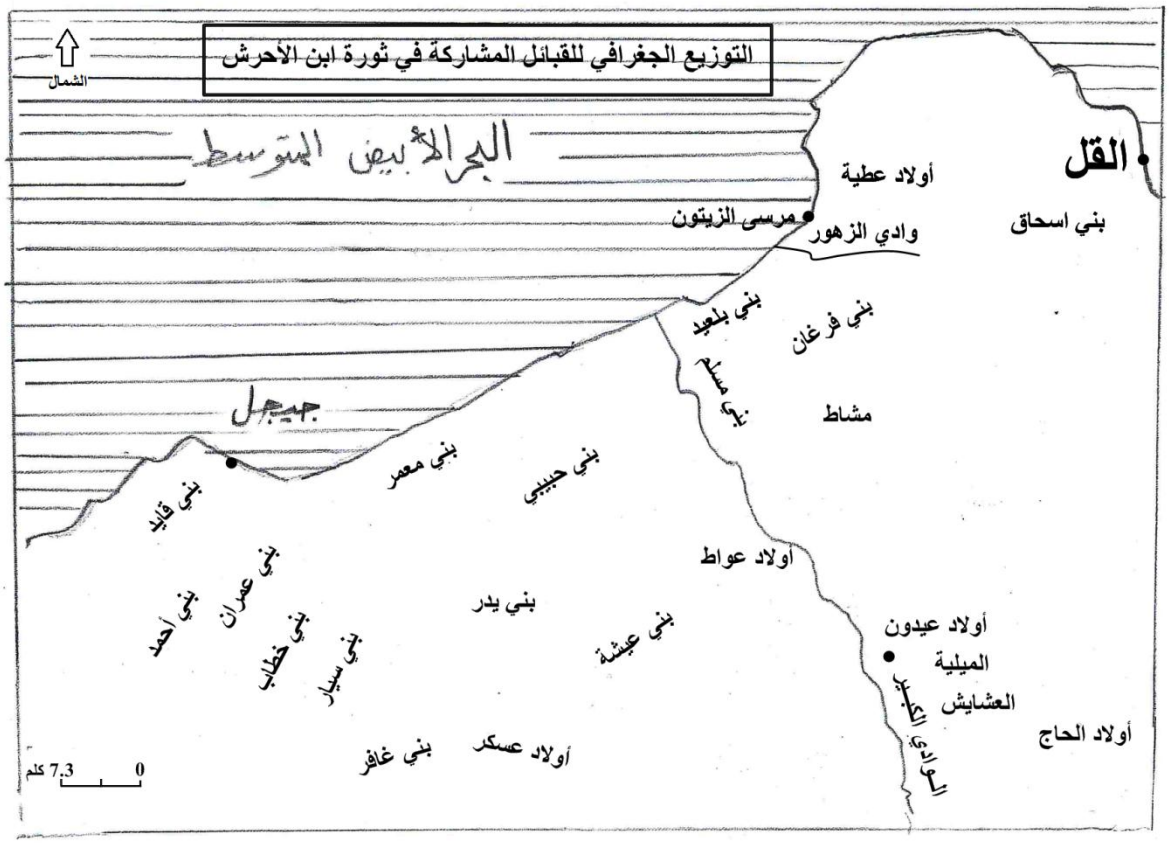

مصدر الخريطة: صالح عباد: مرجع سابق، ص 196.

بدأ ابن الأحرش الجهاد للقضاء على سلطة البايلك (ما بين 10 جوان و20 جويلية سنة 1804م)، وأعلن تأسيس حكومة تقوم على المبادئ الإسلامية، وأمر اتباعه بمهاجمة الحاميات التركية والاستيلاء على مراكزها، فخضعت له مدينة القل، وانسحبت الحامية التركية من مدينة عنابة عندما علمت بعزم ابن الأحرش مهاجمتها[1].

استطاع ابن الأحرش أن يسيطر على المنطقة الممتدة من جيجل إلى عنابة، وأصبح يتصرف كالملك، وأخذ يجمع الضرائب، ويجوب القبائل، فنزل منطقة جراج بوادي الزهور، أين انشأ مجموعة من المساكن وجعلها مركزا له، وأصبح الناس يأتونه من كل مكان، من قسنطينة، عنابة، سطيف، بجاية، خاصة بعد أن انظم إليه عبد الله الزبوشي المنتمي إلى الطريقة الرحمانية[2] جالبا معه عدد كبيرا من المريدين، فقد كان هذا الأخير من المحرضين على التمرد ضد الأتراك منذ ما قبل مجيئ ابن الأحرش، وهنا أعلن ابن الأحرش توجهه للاستلاء على قسنطينة مركز الحاكم، وكان يقول لأتباعه ندخلها فتصبح ثروات سكانها ثوراتنا وبيوتهم بيوتنا[3].

اتجه ابن الأحرش إلى قسنطينة عام 1804م مع جيش قدره صالح العنتري بما يزيد عن العشرة آلاف رجل[4]، بينما قدره أحمد بن المبارك بأكثر من مائة ألف، وكان حاكم قسنطينة عثمان باي حينها خارج المدينة بمحلته في نواحي جبل البابور بسطيف يجمع الضرائب[5].

عندما وصلت طلائع ابن الأحرش ضاحية سيدي محمد الغراب القريبة من قسنطينة خرج للتصدي لها قائد الدار الحاج أحمد بن الأبيض، الذي كان يتولى أمور قسنطينة في غياب الباي راكبا على جواده ومعه طائفة من أهل البلد تشتمل على الف مقاتل، والتقى الجمعان

[1] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 269.

[2] تنسب الطريقة الرحمانية إلى العالم الجزائري الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري (ت 1208هـ/1794م)، جاء بها من المشرق حيث كان يدرس، وبعد عودته إلى ارض الوطن سنة 1769م أسس الزاوية في مسقط رأسه بآيت إسماعيل بتيزي وزو، وأهم المناطق التي انتشرت بها الرحمانية هي وسط وشرق وجنوب الجزائر. ينظر: صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج 1، دار البراق، بيروت، 2002، ص ص 155-157.

[3] صالح عباد: مرجع سابق، ص ص 195-197.

[4] العنتري: مجاعات قسنطينة،،، ص 30.

[5] أحمد بن المبارك: مصدر سابق، ص 112.

واستطاع قائد الدار أن يقتل من جيش ابن الأحرش حوالي مائتي رجل، ثم تراجعوا وتحصنوا بصور المدينة[1].

تقدم ابن الأحرش بعدها ليلا، ولم يلبث المهاجمون أن اقتربوا من الأسوار، واستطاعت جماعات منهم بلوغ البلد ودخول المدينة عبر باب الوادي[2]، ولكن سرعان ما اكتشف أمرهم والقي القبض على الكثيرين منهم ورمي بعضهم من على الأسوار ليكونوا عبرة لغيرهم من المتسللين[3]، كما كاد ابن الأحرش أن يقتحم المدينة ويسيطر عليها لولا لم ينشغل اتباعه بتدمير إسطبلات الباي وإضرام النار ونهب الفنادق على حدود الأسوار، فاستغل قائد الدار مرة أخرى هذا الاضطراب وخرج لمواجهة ابن الأحرش فتمكنوا من رد المهاجمين، وقيل أن ابن الأحرش جرح، فنقل إلى بني فرقان بجيجل لمعالجته[4].

عندما سمع الباي عثمان بالهجوم الذي قام به ابن الأحرش عاد إلى قسنطينة، وفي طريقه التقى بالثائرين، وقتل عددا كبيرا منهم بوادي القطن شمال شرقي ميلة[5]، كما ارسل داي الجزائر آنذاك مصطفى باشا[6] تهديدا عندما سمع هو الآخر بهذه الثورة حيث قال للباي عثمان: "لقد عينتك بايا على المقاطعة التي ظهر فيها ابن الأحرش ومن الواجب عليك أن تلاحقه وتقضي عليه، واني أضعك بين أمرين لا ثالث لهما، رأسك أو رأس ابن الأحرش"[7].

قام الباي عثمان بترتيب العساكر وتنظيم المحلات، ثم تقدم بهم قاصدا ابن الأحرش الذي كان مستقرا حينها بوادي الزهور كونه موضعا حصينا[8]، وفي طريقه التقى ببعض القبائل التي عرضت مساعدتها على الباي، وادعوا أنهم بإمكانهم القضاء على ابن الأحرش اذا وافق على

---

[1] العنتري: مجاعات قسنطينة،،، ص ص 30-31.

[2] كان لمدينة قسنطينة خمسة أبواب وهي: باب الوادي، وباب ميلة، وباب الحامة، وباب الجابية، وباب القنطرة. ينظر: أحمد بن المبارك: مصدر سابق، ص 113.

[3] ناصر الدين سعيدوني:"ثورة ابن الأحرش بين بين التمرد والانتفاضة الشعبية،،، ص 204.

[4] صالح عباد: مرجع سابق، ص 198.

[5] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، 95.

[6] "مصطفى باشا، تولى الحكم سنة 1798، كان رجلا صالحا، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء رحيما بالفقراء والأيتام، محبا للمجاهدين والغزاة، قام أثناء حكمه بالعديد من الغزوات، كما تنفذ اليهود في عهده، توفي سنة 1805". ينظر: الزهار: مصدر سابق، ص ص 71-72.

[7] زينب جعني: مرجع سابق، ص 133.

[8] العنتري: فريدة منسية، ،،، ص ص 70-71.

إرسال فرق من الفرسان معه، فبعث معهم خمسمائة فارس، غير أنه هؤلاء الفرسان تعرضوا لمكر هذه القبائل، فعند وصولهم إلى الواد أحاط بهم القبائل وعزموا على قتلهم، وألجئوهم إلى سفح الجبل، وبقوا هناك محاصرين ثلاث أيام أو أربعة، هم وخيلهم جوعا وعطشا[1].

عندما بلغ خبر محاصرة الفرسان الباي عثمان، لم يتردد في نجدتهم، وأمر المعسكر بالارتحال إلى وادي الزهور، ولما اقترب من الفرقة المحاصرة أمر بإطلاق المدافع على جماعات القبائل، فتمكن من تحرير الفرسان، لتنشب مناوشات أخرى في المنطقة فحاول الباي التراجع غير أنه لم يستطع بعد أن وجد كل الطرق مقطوعة بالأخشاب والحواجز، فاضطر أن يعسكر في سهل وادي الزهور[2].

بقي الباي محاصرا في معسكره، كما صادف هذا الوضع نزول الأمطار، فقام ابن الأحرش باستعمال مكيدة بحيث أنه غير مجرى الوادي نحو معسكر الباي، لم ينتبه الباي ومعسكره إلى هذه المكيدة حتى ادركهم الغرق فيها من كثرة الماء وشدة الوحل[3]، فصارت الأرض مثل السبخة حتى ابتلعت ارجل الخيل إلى البوادر، والرجال إلى الركب[4]، فلما شاهدوهم القبائل وهم في حالة الغرق، بادروا اليهم، وقتلوا منهم عددا كبيرا ولم ينجوا منهم إلا القليل، واستولوا على الأسلحة والأموال التي كان يحملها معه الباي في محلته[5].

أما عن نهاية الباي عثمان فقد كانت على يد المرابط الزبوشي الذي كان حاقدا عليه ويمني نفسه بالانتقام منه، فتقدم منه وطعنه بسيفه، وبقيت جثته ملقاة في العراء مع كثير من افردا جيشه حتى جاء بعض العرب وقاموا بدفنه[6].

لما بلغ الأمير مصطفى باشا خبر وفاة عثمان باي، استقدم عبد الله باي وأولاه بايا على قسنطينة (1804-1806م)، وأمره باستكمال الحرب ضد ابن الأحرش[7].

---

[1] أحمد بن المبارك: مصدر سابق، ص ص 113-114

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص ص 273-274.

[3] العنتري: مجاعات قسنطينة،،، ص 32.

[4] الزهار: مصدر سابق، ص 86.

[5] العنتري: فريدة منسية،،، ص 71.

[6] ناصر الدين سعدوني: ورقات جزائرية،،، ص 275.

[7] الزهار: مصدر سابق، ص 86.

تمكن الباي عبد الله من تبديد جموع ابن الأحرش بنواحي ميلة سنة 1805م، بفضل الجيش الذي اصطحبه معه من الجزائر، وفي هذه الظروف تتكرر أخبار موت ابن الأحرش في عدة مواضع، فيشاع أنه قتل على يد الباي في معركته بميلة، لكنه بعد قليل نجده أمام أصوار بجاية عام 1806م في ثورة ثانية على رأس جيش مؤلف من الفين أو ثلاثة آلاف رجل من القبائل القاطنة ما بين جيجل وبجاية، وقد عسكر بجموعه في محاولة منه للاستيلاء على بجاية ولكنه فشل وتراجع إلى سطيف أين قتل هناك على يد فرسان الباي عام 1807م[1].

ظهر ابن الأحرش مرة أخرى من خلال مشاركته في ثورة إلى جانب الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري، وبقي هناك إلى أن قتله صاحبه الشريف كونه كان يمثل منافسا قويا له[2]، كما شاع أن ملك المغرب طلب نقل جثته إلى المغرب، وأجيبت رغبته ونقلت ودفنت بفاس[3].

وفي سنة 1809م، ظهر محرض آخر يدعي أنه ابن أخ أو أخت ابن الأحرش، أخذ يجوب القبائل محرضا إياها على الجهاد ضد الأتراك، فكلف الداي رجلان قاما بقتله كون هذا الشخص من المفسدين الضالين المضلين حسب قول الداي[4].

3- أسباب فشل ثورة ابن الأحرش

-عدم انتشار الطريقة الدرقاوية في شرق البلاد، إذ كان معظم سكان تلك المنطقة تابعين للطريقة الرحمانية، كما أن ابن الأحرش اعلن ثورته قبل أن تنتشر دعوته انتشارا واسعا بين الأهالي، وربما يرجع هذا التسرع إلى اعتقاد ابن الأحرش أن الظروف كانت مواتية، إذ كانت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر تعاني ضغوط الدول الأوروبية[5].

-عدم اغتنام ابن الأحرش الفرصة للقضاء على نفوذ البايلك سواء عند مهاجمته أول مرة قسنطينة أو اثر القضاء على المحلة التركية وقتل الباي عثمان، مما سمح لسكان قسنطينة والحكام الأتراك من تنظيم أنفسهم وجلب الإمدادات[6].

---

[1] ناصر الدين سعدوني: "ثورت ابن الأحرش بين التمرد والانتفاضة،،، ص 210.

[2] محمد باشا: مرجع سابق، ص ص 114.

[3] ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 46.

[4] صالح عباد: مرجع سابق، ص 200-201.

[5] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 98.

[6] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 287.

-تخلي سكان جيجل عن ابن الأحرش، وأوفدوا أعيانهم إلى مدينة الجزائر فحصلوا على عفو الداي[1].

-بالنسبة لزعماء العشائر وشيوخ القبائل الكبيرة، فقد راو في الحركة العامة خروجا عن التقليد، واعتبروا ابن الأحرش منافسا خطيرا يعرض مكانتهم وسمعتهم ونفوذهم للخطر، فسارعوا إلى إمداد الدولة بالمساعدة وتجنيد فرسان للقتال إلى جانب الانكشارية، وكان على رأس هؤلاء الشيوخ أولاد مقران بمجانة وسطيف[2].

- أما عن المساعدات الخارجية التي وعد بها ابن الأحرش من قبل باي تونس وشيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب، فلم ترد في معظم المصادر استلامه أو تلقي هذه المساعدات.

ثالثا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري 1805- 1809 م

1- التعريف بشخصية ابن الشريف

اسمه عبد القادر بن الشريف[3]، واصله من قبيلة كسانة البربرية القاطنة بوادي العبد قبلة سهل غريس[4] الواقع جنوب معسكر[5].

تعلم بمسقط راسه، ثم التحق بمعهد السيد محي الدين[6] بالقيطنة شرق معسكر، ثم ذهب إلى المغرب فالتحق بمعهد الشيخ محمد العربي بن أحمد الدرقاوي ببني زروال، إلى أن أجيز، ثم عاد إلى مسقط راسه، وأسس معهدا انتصب فيه للتدريس ولتلقين أوراد الدرقاوية[7].

---

[1] صالح عباد: مرجع سابق، ص 200.

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 290.

[3] المزاري: مصدر سابق ، ص 302.

[4] يمتد سهل غريس على مجموعة من التموجات الخفيفة تخترقها بعض السيول التي تنتشر على جانبها حبيبات نبات الدفلى. ينظر: برونو اتيين: عبد القادر الجزائري، ط 1، تر: ميشيل خوري، دار عطية، لبنان، 1997، ص 35.

[5] محمد باشا: مرجع سابق، ص 111.

[6] "محي الدين بن مصطفى بن محمد الحسني، عالم بالفقه، من الأعيان، ولد بقسنطينة عام 1776، وتعلم بها وبمستغانم، حج ثلاث مرات، وهو والد الأمير عبد القادر. توفي عام 1834. ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 114.

[7] ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 42.

ادعى ابن الشريف انه المهدي المنتظر[1]، وادعى انه صاحب الوقت، واتبعته العرب وسارت إليه القبائل، وظهرت له الكرامات[2]، لقي إقبالا كبيرا خاصة من أهل الصحراء (ينظر الخريطة رقم 02)، بحيث صاروا يأتون إلى مجالسه من كل مكان ويحفظون أوراده عن ظهر قلب، فحظى بوقار كبير بينهم وصارت كل شيعة منهم تهدي له الهدايا والعطايا[3].

2- أسباب قيام ثورة ابن الشريف الدرقاوي

إن الأسباب التي دفعت ابن الشريف إلى القيام بالثورة لا تختلف عن تلك الأسباب التي أدت إلى نشوب ثورة ابن الأحرش بالشرق، كما أن ابن الشريف قد اتبع نفس الطريقة والأسلوب الذي أتبعه ابن الأحرش في جمع أنصاره ونشر دعوته[4].

يذكر الآغا المزاري أن اتباع ابن الشريف كانوا لما يجتمعون به يشتكون له ضرر قبائل المخزن المكلفة بجمع الضرائب، فكان يعدهم بالفرج القريب[5].

فالسياسة المالية الجائرة التي انتهجها الحكام كان هدفها استخلاص الضرائب ولو بتجريد المحلات ومعاقبة الممتنعين عن أدائها، واعتمادهم على أسلوب القمع العسكري عند حدوث تمرد أو عصيان جعل مختلف القبائل تقوم بثورات ضد السلطة[6].

كما حظيت هذه الثورة بدعم صاحب الطريقة الدرقاوية بالمغرب، فقد اشتكى له ابن الشريف ظلم الأتراك بقوله: "يا سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك، لا شيء لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس، ولا يعبئون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي، لتستريح منهم العباد، وتتطهر منهم البلاد، فقال له:عليك بجهادهم وقتالهم، وان الله ينصرك عليهم بكمالهم"، فظن أن هذا القول يعني النصر في حالة قيامه بالثورة[7].

---

[1] محمد باشا: مرجع سابق، ص 111.

[2] الزهار: مصدر سابق، ص 84.

[3] المزاري: مصدر سابق، ص ص 302-303.

[4] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 101.

[5] المزاري: مصدر سابق، ص 303.

[6] ناصر الدين سعيدووني: ورقات جزائرية،،، ص 283.

[7] بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 272.

خريطة رقم02

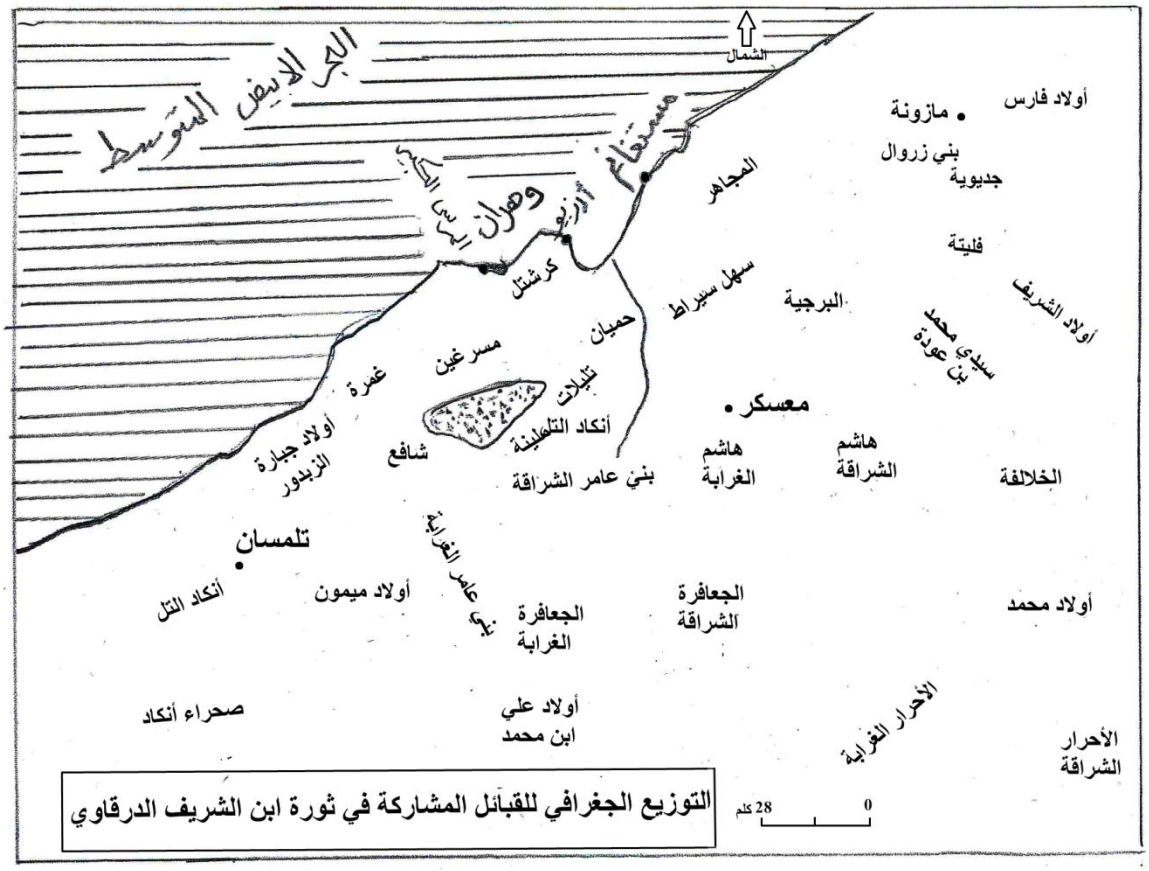

مصدر الخريطة: صالح عباد: مرجع سابق، ص 196.

3- مسار ثورة ابن الشريف الدرقاوي

استغرقت عملية الأعداد للثورة مدة خمس سنوات (1800-1805م)، ولعل فتيل الثورة يكمن في استغلال ابن الشريف هزيمة الأتراك العثمانيين على يد قبائل الأنجاد[1]، فأعطى الأمر لأتباعه بانطلاق الثورة[2]، وكان معسكره حينها عند منبع وادي مينا، بالقرب من تاكدمت بتيارت[3].

لما سمع الباي مصطفى[4] بحركة ابن الشريف جهز له جيشا عظيما واتجه نحوه، والتقيا بفرطاسة[5] بين وادي مينا ووادي العبد في 4 جوان 1805م، ودار بينهم القتال وانهزم الباي بجيشه، ما اضطر الباي إلى التراجع والهروب نحو وهران، تاركا محلته بما فيها من غنائم لأتباع الشريف الدرقاوي[6]، كما لحق بعض منهم الباي وجنوده الفارين، فكان الباي كلما اقتربوا منه يأمر من معه بوضع صندوقين من الغنائم في الطريق فيشتغل جنود ابن الشريف بالنهب، واستمر على هذا الحال إلى أن دخل وهران واغلق الأبواب[7].

رجع ابن الشريف بعدها إلى معسكر منتصرا واستولى عليها، فجعلها قاعدة لجيشه، وراح يوجه النداءات إلى كل القبائل لتعلن الحرب والجهاد ضد الأتراك، ووجد ندائه استجابة كبرى حيث انضمت فلول قبائل الغرب والوسط الجزائري، والواقع أن صدى هذا النداء مكن ابن الشريف من السيطرة على معظم القبائل الجزائرية من حدود مليانة شرقا إلى وجدة غربا[8].

---

[1] الأنجاد، هم القبائل القاطنة من غرب تلمسان بسهل اسمه أنجاد، وهو سهل خاو، موحش وجاف، حيث لا ماء ولا شجر، ويمتد على طول مقداره حوالي ثمانين ميلا، وعلى عرض يقارب الخمسين من الأميال. ينظر: ابن الوزان الزياني: وصف إفريقيا، تر: عبر الرحمن حميدة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2005، ص 382.

[2] عبد القادر صحراوي: " ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 16-17، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017، ص 465.

[3] صالح عباد: مرجع سابق، ص 202.

[4] "هو الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي، رابع بايات وهران، تولى الحكم عام 1800م، اتصف بالجبن، عرف عهد ثورة ابن الشريف الدرقاوي التي عزل بسببها عام 1805م". ينظر: المزاري: مصدر سابق، ص ص 300-301

[5] فرطاسة، منطقة في جنوب غيليزان في طريقها إلى تيارت سميت في العهد العثماني بعد معركة ابن الشريف بوادي الأبطال تيمنا بانتصاره. ينظر: ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 43.

[6] بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 273.

[7] الزهار: مصدر سابق، ص 84.

[8] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر،،، ص 33.

بعد أن اكمل ابن الشريف تحضيراته بمعسكر، انطلق في اتجاه وهران على امل السيطرة عليها، فمر بمدينة سيق الواقعة بين معسكر ووهران، واخضع سكانها بالقوة الذين حاولوا أن يقاوموه، فقتل وسبي منهم خلقا كثيرا، وأحدث مجزرة كبيرة اشتد فيها النواح حتى عرف ذلك المكان "بشعبة النواح"[1]، وصارت جنوده ما تمر بموضع إلا وأهلكته، فقد كان قدومه لوهران إبان وقت الحصاد، فسارت إليه وأطاعته جميع العباد مخافة أن يتلف زرعهم، غير أن هذا الأمر لم يشفع لهم، فقام بحرق ونهب وقتل وإفساد كل شيء من حوله[2].

لما وصل ابن الشريف إلى وهران حاول الدخول عليها عنوة غير انه لم يتمكن لاستماتة سكان وهران في الدفاع عنها، ما دفعه لمحاصرتها، وضيق على أهلها حتى نفذت أقواتهم[3].

بعد أن عجز سكان وهران عن فك هذا الحصار الذي أضرهم، استقدمت السلطة الحاكمة الشيخ محمد العربي الدرقاوي من المغرب الأقصى قصد إقناع تلميذه ابن الشريف بالعدول عن هذا الحصار، ولكنه فشل في إقناعه وتبرئ منه ومن أفعاله بعدما علم أن الكلام الذي قاله له ابن الشريف عن الأتراك كان كله كذبا[4].

وفي ظل هذه الظروف قام داي الجزائر بتعيين الباي محمد المقلش وعزل الباي مصطفى سنة 1805م، وقد ارسل المقلش عن طريق البحر إلى وهران رفقة قوة من الانكشارية قدرت بـ 11000 جندي[5].

كانت براءة شيخ ابن الشريف به سببا رئيسيا في تدهور موقفه، فغادر أحواز وهران بعد حصار دام ثمانية اشهر إلى معسكر، وحين حاول دخولها حيث أهله وخاصته منع من ذلك، فقد قام السكان بإخراج الحاج بن محمد بلحضري البحثاوي المسؤول عن معسكر والذي كان قد سجنه ابن الشريف عند دخوله معسكر في المرة الأولى، فحارب ابن الشريف وأسر العديد من أتباعه، إضافة إلى عائلته والتي أرسلها إلى الباي المقلش والذي هو بدوره حولهم إلى باشا الجزائر[6].

---

[1] يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 68.

[2] بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 275.

[3] محمد باشا: مرجع سابق، ص 112.

[4] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 103.

[5] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر،،، ص 34.

[6] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 69.

لما علم الباي المقلش بتشتيت شمل الدرقاوي، عزم على التوجه له ومحاربته ليقضي عليه نهائيا، فأعد المحلة ونادى أن من أتى برأس من الأعداء يأخذ عشرة سلطانية، فوقعت العديد من القتالات بين الداي وابن الشريف، ومات من العرب عدد لا يحصى، وكانت تجمع رؤوس الموتى مثل الجبال[1].

أما آخر حرب قادها الباي المقلش ضد ابن الشريف كانت بوادي التافنة الذي يمر على تلمسان، وقد شهدت هذه المعركة مشاركة ابن الأحرش، وبالرغم من كل هذه الانتصارات التي حققها الباي إلا انه اعدم عام 1808م بطلب من باشا الجزائر، بسبب فعل قام به أثناء تسريح المحلة للجزائر فبدل أن يحمل الأثقال على الدواب، امر بحملها على البقر، الأمر الذي لم يعجب الباشا فأمر بعزله وقتله[2].

تولي بايلك الغرب حينها الباي مصطفى مرة أخرى، وبقى في الحكم تسعة اشهر من عام 1808م، ولما تولى قام عليه ابن الشريف فقال: "يا عجبا من هذا الدرقاوي الذي مهما توليت يقوم علي، لقد عرف اسمي واعتقد اني جبان، فوالله لأذيقه كأس الردى ولأجعلن شمله مبددا"[3].

ولكن ما لبث أن تم عزله وتعيين مكانه محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس، واصل هذا الأخير الحرب ضد الدرقاوي بطريقة جديدة، تقوم على جمع المعلومات عن أتباع الطريقة الدرقاوية ثم مباغتتهم فرادى، كما انه الحق الهزيمة بابن الشريف رفقة قبيلة اليعقوبية جنوب سعيدة، الأمر الذي جعل ابن الشريف يلتجئ سنة 1809م، إلى عين ماضي ثم الأغواط، غير انه لم يلقى تجاوبا من السكان، ثم اختفى بعد ذلك[4]، وقيل انه فر إلى المغرب[5].

4- أسباب فشل ثورة ابن الشريف الدرقاوي

يرجع فشل ثورة ابن الشريف إلى عدم تمكنه من ضم سكان وهران وقبائل المخزن إلى حركته، فقد تحالفت هذه الفئة مع جيش الباي للدفاع عن مدينة وهران، كما أنها شاركت في

[1] الزهار: مصدر سابق، ص 87.

[2] المزاري: مصدر سابق، 325.

[3] بن يوسف الزياني: مصدر سابق، ص 293.

[4] صالح عباد: مرجع سابق، ص 206.

[5] الزهار: مصدر سابق، ص 87.

المعارك التي خاضها البايات ضد الثائرين، وكان هدف هذه الفئة هو الحفاظ على امتيازاتها الاقتصادية[1].

– شخصية ابن الشريف المكروهة، فقد ذكر محمد باشا أنه كان ممقوتا عند سيدي الجد فمقته الناس كذلك[2].

– انتهاج البايلك سياسة الترغيب والترهيب التي أعطت نتائج إيجابية ومكنت من عزل الثائر عن أغلب القبائل التي ناصرته في أول الأمر، فقد بادر رجال البايلك إلى منح المكافآت وإعطاء الوعود وتخصيص الهدايا لأعيان المدن وشيوخ القبائل والزوايا الذين ابدوا معارضتهم لهذه الثورة[3].

النتائج المترتبة على الثورتين

أسفرت ثورات الطريقة الدرقاوية على عدة نتائج أثرت بدرجات متفاوتة على مختلف مجالات الحياة، ففي المجال السياسي أدت الثورات إلى ازدياد الخلاف بين الأتراك الحاكمين وبين الرعية المحكومة نتيجة لسياسة القمع التي اتبعتها السلطة الحاكمة اتجاه القبائل المساندة والمتعاطفة مع الثورة، إضافة إلى تأزم العلاقة اكثر مع رجال الطرق الصوفية، فراقبت أعمالهم وتابعت تحركاتهم[4].

– استطاعت الطريقة الدرقاوية التأثير على رموز النظام العثماني وكان من بينهم الباي محمد بن عثمان الملقب بأبو كابوس (1808–1813م)الذي تولى حكم البايلك في غرب الإيالة، فقد انتمى سرا إلى الطريقة الدرقاوية، وأعلن تحالفه مع السلطان المغربي[5].

– تحولت المدن الجزائرية إلى بيئات منكمشة عن نفسها متخوفة من سكان الريف القريبين منها، كما غدا الريف الجزائري مجالا مغلق على نفسه يكاد يفقد صلته بالمدن، فأصبح معتمدا

[1] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 106.

[2] محمد باشا: مرجع سابق، ص 113.

[3] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 288.

[4] مختار بونقاب: "انتفاضة درقاوة في باليك الغرب (1802–1816)"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 03، جامعة معسكر، ديسمبر 2008، ص 141.

[5] عبد القادر صحراوي: مرجع سابق، ص 467.

على نفسه وغير مستعد على التعامل مع السلطة المركزية بعد أن تحول أغلب سكانه المؤطرين بشيوخ الزوايا إلى موقف عدائي صريح من إدارة البايلك والمتعاملين معها[1].

– أضعفت هذه الثورات نفوذ البايلك في الأرياف، وزيادة انعزال المدن، وذلك لما نتج عنه من خسائر فادحة في الأموال والأرواح والأسلحة، كما أقنعت سكان الأرياف بإمكانية الثورة على السلطة، ورفض دفع الضرائب والمطالب المخزنية، وعدم الرضوخ للأحكام الجائرة[2].

– إهمال الزراعة وتضرر السكان من قلة القوت مما أدى إلى المجاعة، فالجزائر ما إن كادت تنتهي من ويلات الحرب حتى فاجأها الحدب والقحط بكامل البلاد وأصبحت تعاني من أزمة حادة وخانقة[3]، فقد فسد الزرع وتعطلت الصناعة وركدت التجارة الداخلية لانعدام الأمن، وفقدان السيطرة، وكثرة اللصوص، وقطاع الطرق، ونقصت المؤونة، وارتفعت أسعار المواد الغذائية مما انعكس سلبا على مختلف شرائح المجتمع[4].

– أصبحت الجزائر تحت هذه الأحوال و الظروف مهيأة لانهيار داخلي أو وقوعها ضحية عدو خارجي وبالفعل كان الغزو الفرنسي عام 1830م[5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2001، ص ص 121–122.

[2] ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية،،، ص 291.

[3] زينب جعني: مرجع سابق، ص ص 135.

[4] مختار بونقاب: مرجع سابق، ص 141.

[5] ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري،،، ص 122. ينظر كذلك: ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 42.

الفصل الثالث: التيجانية والسلطة العثمانية

أولا: علاقة التيجانية بالسلطة العثمانية

ثانيا: الصراع في عهد المؤسس أحمد التيجاني 1758-1798م

ثالثا: الصراع في عهد ولديه محمد الكبيبر ومحمد الحبيب 1815-1827م

رابعا: نهاية الصراع ونتائجه

الفصل الثالث: التيجانية والسلطة العثمانية

أولا: علاقة التيجانية بالسطلة العثمانية

1- التعريف بمؤسس الطريقة

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد، ولد سنة 1737م، بقرية عين ماضي بالأغواط[1]، أما عن نسبه فهو يعود إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما[2]، وأمه عائشة بنت أبو عبد الله ابن السنوسي التيجاني[3] نسبة إلى بني توجين أحد فروع قبائل زناتة البربرية[4].

جاء جده الرابع محمد بن سالم إلى عين ماضي قادما من الساقية الحمراء (الصحراء الغربية حاليا)، اشتهر بالعلم والصلاح، تزوج محمد بن سالم من قبيلة بني توجين التي نزلت عين ماضي في وقت سابق، فأنتسب أولاده وأحفاده من بعده إلى أخوالهم، وقد عرف كذلك والد أحمد التيجاني محمد بن المختار بالعلم والورع، فكان مدرسا للحديث والتفسير في عين ماضي[5].

نشأ أحمد التيجاني في عفاف وصيانة وتقوى، محفوفا بالرعاية من قبل والديه، فاشتغل بالقراءة والتلاوة، حفظ القرآن وعمره سبعة أعوام، ثم اشتغل بدراسة علوم الدين، فقرأ على جماعة من العلماء بعين ماضي أمثال بن حمو التيجاني(ت 1162هـ/ 1742م) إلى أن تمكن من علم

---

[1] علي حزام ابن العربي برادة: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ج1، تح: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص 23.

[2] محمد بن المشري السباغي السائحي: روض المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التيجاني، تح: مولاي المهدي الكنسوسي، د.د، مراكش، 2010، ص 4.

[3] علي حزام: مصدر سابق، ص 25.

[4] زناتة، من أكبر قبائل البربر، وشعارهم بين البربر اللغة التي يترابطون بها، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بتونس والمغرب، فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى، ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي تونس، وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين، والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة، ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل بني يفرن وبني توجين وبني عبد الواد وغيرهم، وكانت مواطن هذه القبائل من لدن جهات طرابلس إلى أوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتني به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.م، د.ت، ص ص 1800-1803.

[5] بن سوف التلمساني: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) 1782-1800، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص 63.

الحديث والعلوم الشرعية الأخرى، وقد زوجه والداه قبل موتهما من غير تراخ، غير أن التيجاني لم يلبث حتى طلق زوجته بحيث رآها شغلته عن مقصوده الأهم وهو طلب العلم[1]، وبقي على حاله من قراءة العلم وتدرسيه إلى أن توفي والديه بمرض الطاعون في يوم واحد عام 1753م ودفنا بعين ماضي[2].

تزوج التيجاني مرة أخرى، حيث اشترى امتين وعتقهما وتزوجهما، الأولى السيدة مبروكة والتي رزقها الله منه بمحمد الكبير، والثانية السيدة مباركة التي أنجبت له محمد الحبيب الصغير، ليكون لهذين الولدين فيها بعد دور كبير في الثورة ضد السلطة العثمانية[3].

إن الاطلاع الواسع لأحمد التيجاني على علوم الدين جعله يميل إلى طريق الصوفية، فارتحل إلى ناحية المغرب، لفاس وأحوازها وكان عمره آنذاك 21 سنة، فجلس في حلقات العلم، وبقي يجول المغرب وحواضرها العلمية قصد الزيادة والبحث على أهل العلم، فالتقى من المشايخ حينها الطيب الوازاني، فأخذ عنه أوراد طريقتيه التي كان يطلق عليها الطيبية[4]، وأذن له في تلقين أورادها، اطلع كذلك على الطريقة القادرية وأخذ بها على يد من كان يلقنها في ذلك الوقت، كما درس على يد الشيخ محمد بن عبد الله التزاني مبادئ الطريقة الناصرية، والتقى العالم أحمد الصقلي وغيره من الأقطاب والأولياء[5].

[1] أحمد بن الحاج العياشي سكيرج: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، د.د، د.م، 1961، 14.

[2] محمد السائحي: مصدر سابق، ص 4.

[3] أحمد سكيرج: مرجع سابق، ص 14.

[4] قام بتأسيس هذه الطريقة الصوفي المغربي مولاي عبد الله ابن إبراهيم الوزاني (ت 1089هـ/1678م)، والتي ازدهرت في عهده ونشطت نشاطا كبيرا، وبعد وفاته تولى إدارتها ابنه مولاي الطيب، وفي عهد هذا الأخير عرفت توسعا كبيرا داخل المغرب وخارجه، الأمر الذي جعلها تحمل اسم الابن مولاي الطيب وليس اسم المؤسس الأول لها. ينظر: صلاح مؤيد العقبي: مرجع سابق، ص 227.

[5] محمد بن جعفر ابن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص 197.

انتقل بعدها من المغرب قاصدا البلد الأبيض في ناحية الصحراء (البيض حاليا)، التي بها ضريح الولي الشهير سيدي عبد القادر ابن محمد[1]، فمكث هناك خمسة أعوام للقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة، وكان في كل فرصة يزور قريته عين ماضي، ثم ارتحل إلى تلمسان وأقام بها للزهادة والعبادة والتدريس لعلم الحديث والتفسير إلى أن قرر الخروج إلى الحج، فكان خروجه من مدينة تلمسان سنة 1773م.[2]

مر أحمد التجاني في طريقه إلى الحج بزواوة حيث أخد الطريقة الرحمانية على يد محمد بن عبد الرحمان الأزهري، وتوقف في تونس ومصر وأخذ عن بعص صلحائها واخذ هناك تعاليم الطريقة الخلوتية[3]، وبعد حوالي سنتين في المشرق عاد التيجاني إلى تلمسان التي كان يتردد بينها وبين فاس، ثم انعزل عن المدن تماما وذهب إلى قرية أبي سمغون بالبيض واستقر بها وبدأ التحضير لنشر طريقته[4].

2- نشأة الطريقة التيجانية

إن التجوال الواسع لأحمد التيجاني بين الحواضر العلمية وحضوره الحلقات العلمية لمختلف مشايخ الطرق الصوفية لم يمكنه من اتخاذ جهة معينة أو اتباع احد هذه الطرق وكان سرعان ما يتركها، كأنه لم يجد فيها ما يشفي غليله ويطمئن نفسه، أو لكونه يطمح في تأسيس طريقة خاصة به، فقد كان التيجاني يقول: (أخذنا عن مشايخ عدة، فلم يقض الله عز وجل منهم بتحصيل المقصود، وسندنا وأستاذنا في هذا الطريق هو: سيد الوجود صلى الله عليه وسلم)[5].

---

[1] "هو عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الملقب بسيدي الشيخ، دفين الأبيض سيدي الشيخ (ولاية البيض حاليا)، ولد حوالي 1533م، كان كثير الترحال بقصد طلب العلم ، أخذ على العديد من العلماء المشهورين بشرقي المغرب وبالجنوب الغربي الجزائري، كما تنسب له الطريقة الشيخية، وأصولها الصوفية ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والطيبية، توفي سنة 1616م". ينظر: خير الدين شترة: "الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830- مطلع القرن 20م) الطريقة الشيخية أنموذجا"، مجلة الحقيقة، ع 18، جامعة أدرار، د.ت، ص ص 330-331.

[2] علي حزام: مصدر سابق، ص ص 28-29.

[3] تنسب الطريقة الخلوتية إلى أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، المتوفي بمصر سنة 1579م، أخذ طريقته عن الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة لا في المنام، وكان يقول طريقتي محمدية. ينظر: محمود عبد الرؤوف قاسم: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ط1، دار الصحابة، بيروت، 1987، ص 364.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،،، ص 510.

[5] الكتاني: مصدر سابق، ص 199.

كانت رغبت أحمد التيجاني في أن يصبح عالما وقطبا تزاوله منذ صغره، فيذكر أن له عدة مرائي، فقد رأى وهو صغير أن كرسي المملكة قد انتصب له، وامتلك عساكر كثيرة يصرفها في قضاء حوائج الناس، وكانت هذه الرؤيا الأولى بعين ماضي، كما رأى نفسه في صورة ملك وعقد الناس له البيعة ونصبوا له كرسي الخلافة، وكانت هذه الرؤيا بعد انتقاله إلى تلمسان[1].

وقد أحس احمد التيجاني بإرهاصات الفتح لأول مرة عام 1782م خلال تواجده بتلمسان، وفي هذا يقول تلميذه علي حزام: "... وبقي في تلمسان حتى ألهم سيدنا ما ألهم ووقر في صدره ما وقر وظهر له ما ظهر، مع ما أهله الله إليه بسابق عنايته وفيض كرامته، نفض يديه مما لديه، وتعلقت همته العلية بالله والانحياش إليه والوقف ببابه والعكوف عليه... واقبل على الذكر وأعمال الفكر وآوى الخلوات والعبادات والقربات فلاحت عليه مبادئ الفتح وبوارقه..."[2]، ولما ارتحل إلى قرية أبي سمغون (جنوب البيض)، رأى والده في المنام واستبشر بقدومه واعلن ميلاد طريقته هناك[3].

ويبرر التيجاني أن طريقته التي جاء بها ليست مثل باقي الطرق الصوفية وانها هي الحق برؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم يقظتا وليس مناما، وأن الرسول قد أخبره بترك كل ما أخذ من شيوخ الطرق الصوفية أثناء ترحاله، وأنه لا منة لمخلوق عليك، فأنا واسطتك وممدك والزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به[4].

عاد التيجاني إلى قريته بعين ماضي والتي جعلها مركزا لطريقته وبدأ في تنظيم أتباعه من حوله مشترطا عليهم ألا ينظموا إلى أية طريقة أخرى، فقد امضى أحمد التيجاني سنوات يدعوا فيها لطريقته متجولا في الصحراء وتوات والسودان وتونس، وفي كل مكان يمر به يقيم زاوية ويجند المقدمين لطريقته حتى أصبحت قوة حقيقية في مدة وجيزة[5].

---

[1] محمد السائحي: مصدر سابق، ص ص 5-6.

[2] علي حزام: مصدر سابق، ص ص 28-29.

[3] شيخ لعرج، دحو فغرور: "انتشار الطرقة التيجانية في بايلك الغرب اواخر القرن 19م وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة"، مجلة الحضارة الاسلامية، ع29، جامعة وهران، جوان 2016، ص 612.

[4] علي حزام: مصدر سابق ، ص 40

[5] صالح عباد: مرجع سابق، ص 176.

وصفت الطريقة التيجانية بسهولتها، وبساطة تعاليمها وملائمتها لجميع الناس، وفيها حرية واسعة لا تجدها في باقي الطرق الصوفية، فهي لا تأمر لا بالخلوة ولا التقشف، ومليئة بالتسامح، الأمر الذي ساعدها على حشد عدد كبير من الاتباع[1].

ومن أسباب نشأة وانتشار الطريقة التيجانية نذكر:

1- عاش التيجاني في عصر قل فيه العلم وعم فيه الجهل، وكثرت فيه الاضطرابات فكان لجهل الناس في عصره وبعدهم عن شريعة الله أثر كبير في نشأتها.

2- قلة العلماء المخلصين في وقته وبيئته، وحب التيجاني للشهرة والجاه.

3- إقبال الناس عليها كثرة ما فيها من الثواب المزعوم وضمان الجنة بأيسر الأسباب، وخصوصا عن العامة والجهال الذين لا يفرقون بين الحق والباطل[2].

قضى أحمد التيجاني مدة اربع وثلاثين عاما ينشر ويدعوا إلى طريقته منها سبعة عشر سنة في الجزائر والنصف الثاني قاضاها في فاس[3]، وبداية انتشار طريقته بالجزائر كانت في المناطق التي اعتاد أن يتردد عليها، كقرية أبي سمغون مهد طريقته والتي شهدت التفافا كبيرا حوله من قبل السكان والاتباع الذين ساهموا في نشر تعاليمها ومنهم المقدم محمد بلعباس السمغوني، والمقدم ابن المشري زيان السمغوني، إضافة إلى قرية عين ماضي مسقط رأسه، فقد كان أحمد التيجاني معروفا في وسطهم بصلاحه وورعه لهذا لما أعلن ميلاد طريقته هناك لقي استجابة واسعة من قبل سكانها.[4]

واصلت الطريقة التيجانية انتشارها في مناطق أخرى نذكر منها:

[1] شيخ لعرج، دحو فغرور: مرجع سابق، ص 613.

[2] علي بن محمد دخيل الله: مختصر التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، ط1، دار العاصمة، السعودية، 2002، ص 9.

[3] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 88.

[4] شيخ لعرج، دحو فغرور: مرجع سابق، ص ص 615-116.

1- تلمسان: وكان من بين اتباعه الذين أجازهم في الطريقة وعملوا على نشرها هناك، الشيخ محمد بن عبد الرحمن العزوري، وبعض تلاميذه الذين كانوا بصلة به منذ أن كان يقيم بها ومنهم المختار بن طالب ومحمد بن معمر البوشيخي والطاهر بوطيبة، هذا الأخير الذي عين فيما بعد مقدما للطريقة بتلسمان.

2- توات: كانت من المناطق التي تردد عليها الشيخ أحمد التيجاني، واستطاع جمع عدد كبير من الاتباع ومن ابرزهم: محمد بن الفضيل التواتي، الذي لعب دورا هاما في نشر الطريقة في معظم المناطق الصحراوية، وابن علي حزام برادة تلميذ التيجاني وأحد مرافقيه، وأبو حفص عبد الرحمن الصحراوي وغيرهم.

3- تاجموت: هي قرية صغيرة تبعد عن عين ماضي بحوالي 35 كلم، وكانت من المناطق التي مر بها أحمد التيجاني، وعين عليها حسن بن دحمان التاجموتي مقدما والذي كان له دور هام في نشر الطريقة، فقد بنى في تاجموت مقاما للمريدين التيجانيين ، يلتقون فيه للذكر[1].

4- وهران: رغم حداثة فتحها (1792م)، علي يد الباي محمد الكبير، وصعوبة وصول الطرق الصوفية إليها بسبب عداء باياتها المتأخرين لرجال الصوفية، إلا أن التيجانية وضعت قدما لها فيها عن طريق أحمد بن عبد السلام الفيلالي وعلي بن عبد الرحمان[2].

انتشار الطريقة التيجانية خارج الجزائر

1- انتشارها بالمغرب

زادت شهرة أحمد التيجاني وطريقته خاصة بعد ارتحاله إلى المغرب بسبب الضغوطات الشديدة التي تعرض له من قبل دايات الجزائر، فقد اعلن سنة 1800م انه قد ارتقى إلى المقام

[1] شيخ لعرج: موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن20م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2016-2017، ص ص 20-21.

[2] شيخ لعرج، دحو فغرور: انتشار الطرقة التيجانية في بايلك الغرب اواخر القرن 19م وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة،،، ص 618.

المحمدي المسمى كذلك بمقام خاتم الولاية[1]، وأنه اصبح افضل جماعة المسلمين في عصره، بمعنى أن هذه المرتبة وان ادركها بعض ممن سبقوه من الأولياء فإنه لا احد ادرك اعلى مراتبها لا من قبله ولا من بعده، لهذا حملت اسم خاتم الولاية، وبهذا رأى اتباع التيجاني أن طريقتهم تسموا على بقية الطرق، وهو ما أثار ضجة واسعة وصلت حتى المشرق العربي[2].

كان أتباح أحمد التيجاني يجتمعون عند باب داره بمدينة فاس وتارة في بعض مساجدها، وكان عددهم يزداد يوما يعد يوم إلا أن قرر الشيخ أحمد بناء زاوية له، فاشترى موقعا بحومة الدرداس المعروفة اليوم بالبليدة بفاس القديمة، وقد كانت خربة مهدمة قام بإصلاحها وبنى فيها زاويته سنة 1801م[3].

2- انتشارها بتونس

يعد إبراهيم الرياحي أول من أدخل الطريقة التيجانية إلى تونس، بعد أن تلقاها على يد الشيخ علي حزام الذي اجتمع معه عندما جاء إلى تونس سنة 1801م، كما سافر إلى المغرب الأقصى عام 1804م، والتقى بالشيخ أحمد التيجاني في فاس، وتأثر به أيما تأثر، فأجازه الشيخ أحمد بتلقين الطريقة ونشرها في تونس، وبحكم مكانة الرياحي العلمية وعلاقته بحكام تونس، انتشرت هذه الطريقة أول مرة في وسط الطبقة الحاكمة والمثقفين، وتعد زاوية حوانيت عشوراء أول زاوية تيجانية بتونس[4].

وبهذا انتشرت الطريقة التيجانية في التل وفي الجنوب عن طريق القوافل التجارية بالخصوص (ينظر الخريطة رقم 03)، وكثر مقدموها وأتباعها وزواياها، وأصبحت قوة ينشد تحالفها الراغبون في التحالف سواء من العناصر الإسلامية أو من الأجانب، وكانت القوافل

---

[1] خاتم الولاية، هو الذي يبلغ به صلاح الدنيا والآخرة، ويختل بموته نظام العالم وهو المهدي الموعود في آخر زمانه. ينظر: كمال الدين عبر الرزاق القاشاني: اصطلاحات صوفية، ط2، تح: محمد كمال إبراهيم جعفر، د.م، 1961، ص 159.

[2] كمال بوغديري: الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2015/2014، ص ص 256-257.

[3] أحمد سكيرج: مرجع سابق، ص 20.

[4] رباح قاسمي: الخطاب الصوفي التيجاني الأبعاد والتأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص دراسة الجمهور، كلية العلوم السياسية والإعلام ، قسم علوم الإعلام والاتصال، جماعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009، ص ص 46-47.

التجارية تعبر شمالا وجنوبا وشرقا نحو فاس وتلمسان وتوات والهقار، وكلما كثر الاتباع والمقدمون كلما جاءت الزيارات والإمداد والنفوذ، وقد أصبحت عين ماضي وتماسين مركزين ثريين بالمال عن طريق التجارة وعمارة الأسواق، وكانت زوايا الطرق التيجانية هي المحرك والمسيطر على هذه الشبكة من القوافل[1].

3- أهم الزوايا التيجانية بالجزائر

1- زاوية قمار: قمار هي قرية تقع شمال وادي سوف، وتعتبر زاوية قمار اقدم زاوية تيجانية بالجزائر قام ببنائها محمد التونسي سنة 1789م، بطلب من الشيخ أحمد التيجاني، ثم توسعت في عهد أبناء الحاج علي التماسني، الذين وليت لهم مهمة إدارتها[2].

2- زاوية عين ماضي: تقع في بلدة عين ماضي غرب مدينة الأغواط، بدأت نشاطها الصوفي بعد عودة أحمد التيجاني إليها من قرية أبي سمغون، قامت بدور كبير في نشر الطريقة عن طريق تعيين الدعاة والمقدمين في مختلف الجهات، وبناء الزوايا والمحافظة على مكانتها الروحية، ويوجد بها أضرحة أبناء احمد التيجاني[3].

3- زاوية تماسين: يعود تأسيسها إلى سنة 1804م، من طرف الحاج علي التماسيني، أخذت شهرتها منذ أن عين الشيخ أحمد التيجاني الحاج علي كخليفة له، ويعود الفضل لشيوخها في تأسيس عدة زوايا فرعية عبر الشرق الجزائري وبلاد التوارق وتونس وجنوب الصحراء، كما يوجد بالقرب منها زوايا ثانوية أهمها، زاوية العلية، الهجيرة، وزاوية بلدة عمر.

4- زاوية ابي سمغون: تقع في الجنوب الغربي من مدينة البيض على بعد 120 كلم، تستمد مكانتها من كونها مهد الطريقة التجانية ، ففيها وقع للشيخ التجاني الفتح الرباني، ويوجد بها

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4،،، ص ص 194-195.

[2] شيخ لعرج: موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن20م،،، ص 22.

[3] يوسف بن حيدة: "التواصل الصوفي بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 18-20م –الطريقة التيجانية نموذجا-"، مجلة الدراسات الإفريقية، مج3، ع 7، جامعة الجزائر 2، جوان 2019، ص 251.

خلوته، وهي بذلك تتصدر زوايا الغرب والجنوب الغربي وتتبع مباشرة لزاوية عين ماضي بحكم موقعها[1].

خريطة رقم03

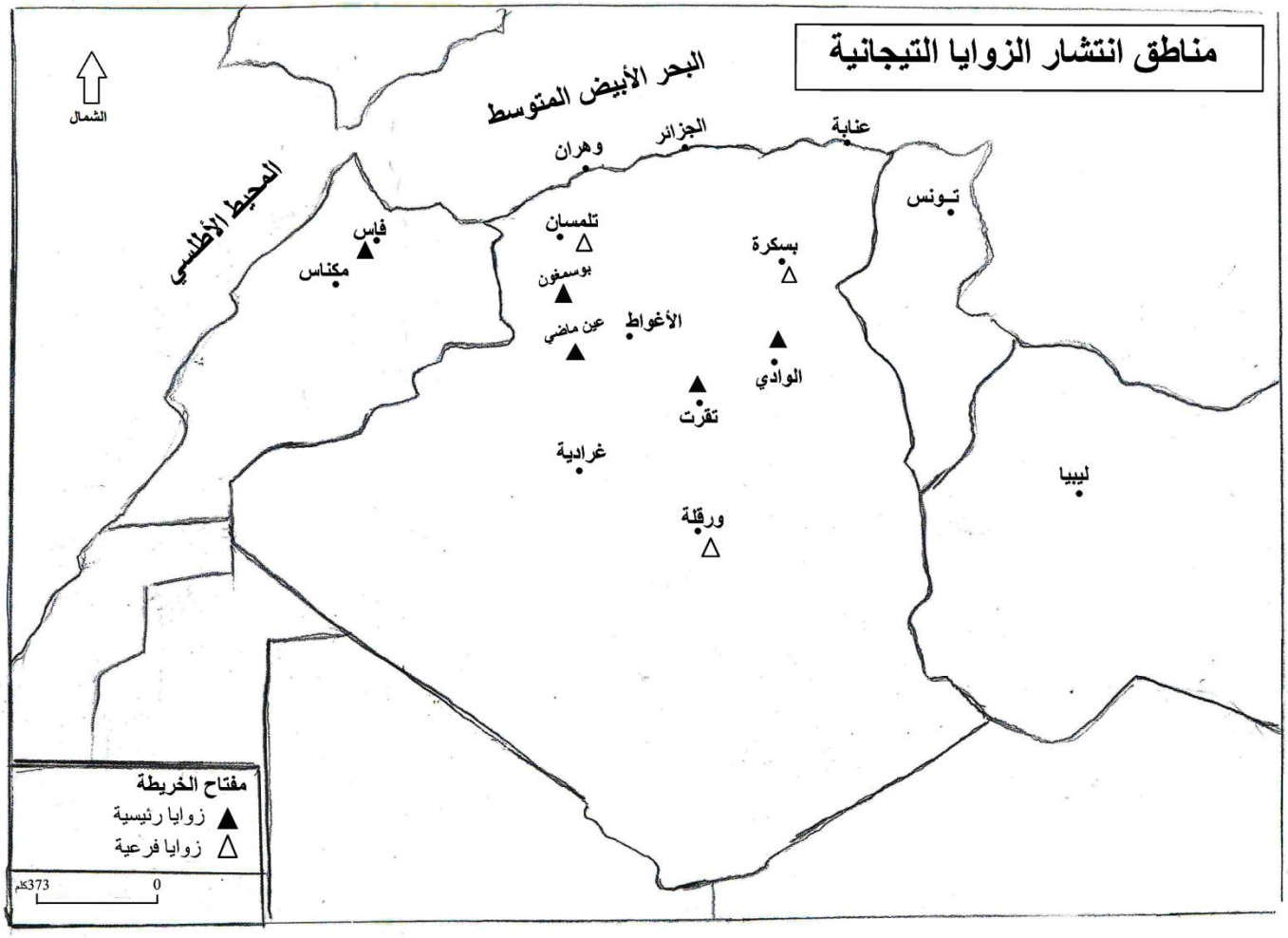

مصدر الخريطة: بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 311.

[1] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 101.

علاقة التيجانية بالسلطة العثمانية

إن الظروف التي صاحبت ظهور الشيخ التيجاني وطريقته جعلته محط متابعة من قبل السطلة الحاكمة، فقدت شهدت البلاد العديد من الثورات التي كان وراءها رجال الطرق الصوفية، وكانت لها تأثير بالغ على الحياة العامة للبلاد، لهذا لم تكن السلطة العثمانية في موقف يسمح لها بقبول طريقة جديدة.

واتصفت سياسة الحكام الأتراك في الفترة الأخيرة من العهد العثماني بمعادات رجال الدين ومحاولة إخضاعهم لنفوذ البايلك، وهذا ما أدى إلى إحداث قطيعة بين الزوايا الدينية وجموع الأهالي المؤيدين لها وبين الحكام الأتراك والجهاز الإداري العسكري الذي يمثلونه، فالظروف الدولية والأوضاع المحلية جعلت العلاقة الودية تزول بعد أن تحول الأتراك بأنظارهم داخل البلاد لإيجاد مصادر دخل قارة في ظل نقص مداخيل البحرية[1].

عرفت الطريقة التيجانية منذ تأسيسها مضايقات من قبل السلطة الحاكمة وذلك بسبب المكانة التي تبوأها أحمد التيجاني والتفاف الناس حوله وكثرة أتباعه، فأثار ذلك حفيظة بايات الغرب الجزائري الذين قاموا بمطاردته، فكان ذلك سببا في اتساع الهوة بينهما وازدياد التوتر والاحتقان مما فسح المجال للمواجهة والصدام[2].

تنكر السلطة العثمانية لعقائد الطرقة التيجانية، فقد عرف العثمانيون بتشجيعهم لظاهرة التصوف والطرق الصوفية، غير أن التيجانية لم تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها باقي الطرق، خاضه بعد إعلان شيخها أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ممده ومنه مباشرة تلقى أسرار طريقته، فعقائد الطريقة التيجانية أثارت ضجة في أواسط العلماء والفقهاء، ولقيت إقبالا كبيرا ما

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني،،، ص ص 38-39.

[2] عبد الحفيظ حيمي: "الطريقة التيجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية 1196-1242هـ (1782-1826م)"، مجلة آفاق فكرية، مج 4، ع3، جامعة سيدي بلعباس ، جويلية 2018، ص 44.

جعل السلطة الحاكمة تطعن في أحمد التيجاني وأفكاره وتتهمه بالعدول عن طريق الحق لجعل العامة تنفر منه[1].

إن جل الثائرين على السلطة العثمانية قد ظهروا خلال القران 18م، ولم تختلف التيجانية في موقفها عن باقي الطرق الصوفية وقادة الثورات اتجاه السلطة الحاكمة وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي، من إرهاق الأهالي بالضرائب مع انكماش موارد النشاط البحري[2]، فرفضت هذا الوضع ما جعلها عرضة لهذه المضايقات لاسيما بعد تحكمها في الطرق التجارية والصحراوية واكتسابها ثروة هائلة، فشنت عليها السلطة الحاكمة حملات عسكرية، وفرضوا عليها الضرائب الباهظة، واستحوذوا على خيراتها كلما تمكنوا منها[3].

ثانيا: الصراع في عهد المؤسس أحمد التيجاني 1785-1798 م

1- حملة الباي محمد الكبير[4]

خرج الباي محمد الكبير اتجاه الأغواط سنة 1785م، حيث بلغه أن سكان هذه المنطقة والمتحصنين بالصحراء لا يلتزمون بطاعته ولا يمتثلون لحكمه، أي أن المنطقة لم تكن تابعة لأي جهة ولم تخضع حتى للبايات الذين سبقوه بالرغم من أنها تمثل الممر الرئيسي لركب الحج المغربي[5].

---

[1] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 125.

[2] أحمد سعودي: "الإدارة العثمانية في الجزائر والقوى الروحية بين التوائم والتصادم"، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مج 11، ع1، جامعة الجلفة، الجزائر، جوان 2018، ص 209.

[3] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 172.

[4] "هو محمد بن عثمان الكردي، ويسميه العرب في الناحية الغربية محمد الأكحل لأنه كان أسمر اللون، تولى باليك الغرب سنة 1778م، وبمجرد جلوسه على كرسي الحكم شرع في إصلاح شؤون الرعية، كما قام بإخضاع العديد من القبائل المتمردة على الحكم، ويرجع له الفضل في تحرير وهران بعد حملة منظمة سنة 1791م. ينظر: أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص ص 15-18.

[5] ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص ص 146-147.

وأثناء سير الباي إلى الأغواط ، كان لا يمر على قرية إلا واجبرها على دفع ما يحدده من لزمة[1]، إلى أن وصل إلى بلدة عين ماضي، وكان الشيخ أحمد التيجاني وقتها مقيما في قرية أبي سمغون بعدما طرده الباي من تلمسان سابقا[2].

لما علم أهل عين ماضي أن جيش الباي قادم نحوهم فزعت قلوبهم، فالتزموا بيوتهم وأغلقوها ولم يخرجوا خوفا من أن يوقع بهم السلطان، وبقي الناس مترددون في أمرهم من الخروج أو البقاء داخل المنازل، إلى أن قرروا الخروج بنسائهم وعلمائهم، مقدمين النساء في طليعتهم كي لا يهجم عليهم الباي، فلما رأى الباي هذا الوضع طلب من العلماء أن يتقدموا، فتقدموا وطلبوه منه أن يرفق بهم وأن يعفيهم من الضريبة الأولى التي فرضها عليهم، كونهم لم يقدروا على دفعها، فأشفق عليهم وجعل لهم لزمة أقل من الأولى، وبقي الباي ملازما المنطقة حتى دفع أهلها ما عليهم من ضريبة[3].

استقر الباي بمنطقة قرب عين ماضي واخضع سكانها في بادئ الأمر من غير مقاومة، لكن بلغه فيما بعد أنهم قد نقضوا عن طاعته فأرسل اليهم جيشا ليخضعهم، فقاتلوه قتلا شديدا إلى أن نفذ منه ومن جنده الرصاص فكاد أن يفشل في السيطرة عليهم لولا أن أرسلت له بغال محملة بالرصاص من الجزائر، فوزعها على الجنود وواصل القتال إلى أن اخضع أهل عين ماضي وهادو لحكمه والتزموا بما يؤدونه كل سنة[4].

2- حملة صالح باي 1785م

في سنة 1785جهز صالح باي[5] جيشا وتقدم به نحو الأغواط وجبال عمور بعدما أعلن سكان هاته المناطق العصيان، فسار على رأس جيشه سالكا طريق عين البيضاء وآفلو ثم

[1] اللزمة تستند على مبدأ المحافظة على قوة الجماعة الإسلامية، لتموين الجند بالأرياف، باعتبارها رسوما عينية أو نقدية، تتباين كميتها حسب المناسبات، ويتقاضاها القادة كلما دعت الضرورة وذلك بتكليف شيوخ الدواوير والبوادي بجمعها، وأن اللزمة غالبا ما تمس قبائل الرعية الخاضعة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي،،، ص ص 91-92.

[2] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص ص 131-132.

[3] أحمد بن هطال التلمساني: مصدر سابق، ص ص 72-74.

[4] ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 147.

[5] "صالح باي، من أشهر بايات قسنطينة، اسمه الكامل صالح بن مصطفى ازميلي، ولد بتركيا عام 1725م، تولى حكم قسنطينة سنة 1771م وبقي عاملا بها، مصلحا ومعمرا، شارك إلى جانب باي الغرب في احدى الحروب ضد الإسبان وكان له فضل كبير في النصر، تم عزله من الحكم سنة 1792م. ينظر: الزهار: مصدر سابق، ص 55.

تاجموت، وبعد وصوله وإخضاع سكان جبال عمور لطاعته توجه إلى الأغواط فهاجمها ودخلها عنوة وضمها إلى حكمه[1].

امتعض سكان عين ماضي من الحملات العسكرية المتكررة التي تقوم بها السلطة العثمانية، ولم يهدأ لهم بال حتى أعلنوا عصيانهم مرة أخرى، فارسلوا إلى أحمد التيجاني يطلبون مساعدته فجاء رده في رسالة لسكان عين ماضي ينصحهم فيها بعدم القتال حيث قال: "...وأما أمر الباي منكم فاسمعوا مني نصيحة كاملة يبذلها الوالد لولده اذا كنتهم تراعون نصيحته، فسيروا إليه في بلاده وأعطوه مما تقدرون عليه من مال ولا تقاتلوه فإنكم لا خير لكم في قتاله، وأخبركم أنه انكشف من سر الغيب ما لم يكن لنا ولكم به علم وهو أنه سبحانه قد قضى في حكمه على جميع خلقه من أهل الصحراء بثقل المغرم عقوبة لهم على معاصيهم... وان خالفتم قولي هذا فقد ألقيتم بأنفسكم إلى الهلاك..."[2]

3- حملة الباي عثمان 1787م

لم تجد تحذيرات أحمد التيجاني صدى لدى أهل عين ماضي، كما أن السلطة الحاكمة لم تبقى مكتوفة الأيدي في ظل تعاظم نفوذ التيجانية، وتحدي أهل عين ماضي السلطة، وفي هذا الجو المتسم بالعداء خرج الباي عثمان في حملة وهو على رأس جيشه، واستطاع اقتحام عين ماضي دون مقاومة تذكر إلا أنه لم يعثر على أحمد التيجاني هناك، ففرض على أهلها غرامة مالية، وأجبرهم على دفع كمية كبيرة من البرانس والحياك[3] .

بعد هذه الحملات المتكررة وضغط الباي عثمان على أحمد التيجاني وملاحقته إلى قرية أبي سمغون، قرر هذا الأخير الإرتحال إلى المغرب خاصة بعد أن قام الباي بتهديد أهل تلك القرية بالقتل في حال اذا لم يطردوا الشيخ التيجاني من عندهم، فخرج مع بعض تلامذته وأولاده وسلك

[1] أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 137.

[2] أحمد سكيرج: مرجع سابق، ص ص 404-405

[3] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 136.

طريق الصحراء ووصل فاس سنة 1798م، وجلس عند السلطان المغربي وأخبره أنه ارتحل بسبب جور الأتراك وظلمهم[1].

لقي التيجاني استقبالا حارا بفاس، فقد منحه السلطان المغربي سليمان[2] قصرا رائعا يعرف باسم "قصر المرايا" أقام فيه مع عائلته وخدمه، كما أنشا زاوية بفاس، فأقبل عليه كثير من الخلق وأشتهر أمره بالمنطقة، ولم يعد التيجاني إلى مسقط رأسه عين ماضي إلا مرتين الأولى كانت سنة 1804م، والثانية كانت عام 1813م، أين أقام في الزيارة الثانية أياما معدودة ثم رجع إلى فاس التي وتوفي بها سنة 1814م، مخلفا ولدين هما محمد الكبير ومحمد الصغير[3]. وحضر لجنازته عدد لا يحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها[4].

ثالثا: الصارع في عهد ولديه محمد الكبير ومحمد الحبيب 1815-1827 م

بعد وفاة أحمد التيجاني رفض ولداه في الأول العودة إلى عين ماضي حيث فضلا البقاء في فاس، على الرغم من الحاح الحاج علي التماسيني[5]، الذي طلب منه أحمد التيجاني قبل وفاته أن يعتني بولديه وأن يتولى أمور الطريقة، غير أن الدسائس التي حيكت لهم من قبل الطريقة الطيبية جعلتهم يغيرون رأيهم، فانتقلا إلى عين ماضي، واستقرى بها وقاما بطرد أعداء أبيهم من التجاجنة الذين خرجوا عن طاعته من قبل وفاته.

انتقل بعدها الحاج علي التماسيني إلى بلدته تماسين بورقلة حيث أصبحت مقاليد الطريقة التيجانية تدار انطلاقا من الزاوية التيجانية الموجودة هناك طيلة الفترة الممتدة ما بين 1815-

[1] أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص 105.

[2] السلطان سليمان (1797-1822م)، هو أبو الربيع سليمان ابن أبي عبد الله العلوي سلطان المغرب الأقصى المتوفي سنة 1822م بمراكش وبها دفن، كان موصوفا بالعدل معروفا بالخير، شهد عهده صراعا حول السلطة بينه وبين إخوته، عرف بالاطلاع الواسع على الفقه الإسلامي، وله العديد من الحواشي والتعاليق. ينظر: أحمد الناصري: المصدر نفسه، ص 112.

[3] صالح عباد: مرجع سابق، ص 176.

[4] الكتاني: مصدر سابق، ص 199.

[5] "هو الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني، نسبة إلى تماسين أرض الجريد، كان من خاصة أحمد التيجاني وأصحابه يترحل معه أين ما حال، وليت له أمور الطريقة التيجانية بعد وفاة أحمد التيجاني. ينظر: أحمد سكيرج: مرجع سابق، ص 126.

1844م، كما جذب خبر عودة أولاد أحمد التيجاني بعض الشيوخ والمريدين وبعث فيها مجددا حركة علمية نشيطة، غير أن السلطة رأت فيها بعثا جديدا لنفوذ التيجانية[1].

1- حملة الباي حسن الأول 1820م

أقلقت عودة ولدي أحمد التيجاني وإعادة إحيائهم طريقة والدهم الباي حسن[2]، حيث استغل الفرصة وشن حملة على عين ماضي لإلقاء القبض عليهم، فاستنجد بأعداء أبيهم الذين طردوا عند وصول محمد الكبير واخوه من عين ماضي إلى جبال عمور، فشاركوا مع الباي انتقاما لطردهم من المنطقة[3].

لم ينتظر ولدي أحد التجاني وصول الباي حسن، فبعد تشاور بينهم وبين الشيخ الحاج علي التماسني، تم الاتفاق على أن يرسل الأخ الأصغر محمد الحبيب إلى قرية أبي سمغون، ومحمد الكبير إلى بلدة تماسين بورقلة، ولما وصل الباي إلى المنطقة حاول استمالة أهل البلدة، بشرح مقتصده من هذه الحملة أنها تهدف إلى القاء القبض على ابني التيجاني وليس بغرض الحاق الأذى بالسكان، إلا أن أهل عين ماضي رفضوا عرض الباي[4].

قام الباي حينها بمحاصرة عين ماضي مدة شهر كامل، ولم يتلقى أية مواجهة وعرض عليه التيجانيون مبلغا من المال قدره 350 الف فرنك مقابل رفع الحصار على المدينة بشرط تأمين أرواحهم، فقبل الباي عرضهم لكن بمجرد حصوله على الأموال قصف المدينة ولكنه فشل في دخولها لقوة أسوارها(ينظر الصورة رقم 01) واستماتة أهلها في الدفاع عنها، فانسحب بجيشه عائدا إلى وهران[5].

لم يتوقف نفوذ الطريقة التيجانية عن التزايد بالرغم من الحملات المتكررة، بل ازدادت ازدهارا وانتشارا، فقد نزل على زاوية تماسين أكثر من مائتي رجل جاءوا من الأفاق البعيدة

---

[1] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص ص 139-140.

[2] "الباي حسن، ثامن بايات بايلك الغرب، تولى يوم 26 أكتوبر 1817م، كان ذا عقل وافر وسياسة، محبا للعلم والشرفاء والصالحين، غير أنه لما استوثق بالحكم تغير طبعه وكثر ظلمه وغضبه، وبقي على رأس البايلك إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر"، ينظر: الزياني: مصدر سابق، ص ص 309-311.

[3] عبد الحفيظ حيمي: مرجع سابق، ص 46.

[4] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 140.

[5] عبد الحفيظ حيمي: مرجع سابق، ص 46.

طالبين التقديم في الطريقة، مما جعل مخاوف العثمانيين تزداد، فشن مصطفى بومرزاق[1] باي التيطري عام 1822م حملة أخرى غير أنه فشل أمام أسوار عين ماضي ومقاومة أهلها[2].

الصورة رقم 01: قرية عين ماضي[3]

[1] "مصطفى بومرزاق، والمرزاق هو الرمح، حكم بايلك التيطري من سنة 1819 إلى سنة 1830م، كان شجاعا ونشيطا في جميع أعماله، شارك في معكرة سطاولي ضد المستعمر الفرنسي، غير أن القبائل ثارت عليه بعد سقوط مدينة الجزائر ونهبت أملاكه، فاضطر إلى طلب الإعانة من الجنرال كلوزيل ثم غادر الجزائر إلى الإسكندرية". ينظر: حمدان خوجة: مصدر سابق، ص 40.

[2] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 141.

[3] الجزائر دايلي، قرية عين ماضي ولاية الأغواط عمرها يفوق عشر قرون، تاريخ الاطلاع: 2020/06/16، سا: 12:57، www.edd-dz.net.

2- حملة الباي حسن الثانية 1825م

تكررت حملات الباي حسن ضد أولاد التيجاني، فقد دخله التخمين بأن التجاني سيقضي عليه في حال ترك له المجال مثلما حدث للباي مصطفى مع ثورة ابن الشريف الدرقاوي، خاصة أن إقبال الناس على الطريقة التيجانية كان من كل النواحي، فعزم على محاربتهم مرة ثانية قبل أن يجمع قوة أكبر، فجهز جيشا وغزى به عين ماضي، بحيث قام بمحاصرتها شهرا كاملا مثلما فعل في الحملة الأولى، وانتهى بعقد صلح مع الباي مقابل دفع سكان عين ماضي ضريبة سنوية قدرها 500 ريال[1].

بعد هذه الحملة قرر محمد الكبير التوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فلما بلغ خبره لحاكم الجزائر الداي حسين[2]، امر باي قسنطينة آنذاك محمد باي مانامانى[3] بأن يعترض طريقه عند قدموه ويوقفه، غير أنه لم يتمكن من ذلك[4].

وتعتبر هذه الحملات والمضايقات أحد الأسباب المباشرة التي دفعت محمد الكبير التيجاني إلى تحريض قبائل الجنوب الوهراني ضد سلطة بايلك الغرب، فقد رأى أن الثورة هي الحل الوحيد للحفاظ على طريقة والده من الزوال[5]. وان التعديات التي كان يقوم بها الباي حسن لم تمس محمد الكبير فقط، بل عرف عليه كثرة الظلم، وتعديه على العلماء، وسفكه للدماء أينما حل، كما انتشر الفساد في عهده[6].

لما عزم محمد الكبير مجابهة الباي، راسل خليفة أبيهما الحاج علي التماسني ليبين له سبب قيامه بالثورة، غير أن الحاج علي عارض الفكرة لما فيها من مخاطر على أصحاب الطريقة

---

[1] المزاري: مصدر سابق، ص 535.

[2] "الداي حسين، آخر داي تركي بالجزائر، كان يتمتع بثقافة واسعة وخدم الايالة أكثر من ثلاثين سنة، فقد تقلد عدة مناصب قبل أن يصبح دايا، لديه حادثة شهيرة مع القنصل الفرنسي تعرف بحادثة المروحة". ينظر: حمدان خوجة، مصدر سابق، ص ص 135-136.

[3] "محمد باي مانامانى، تولي بايلك قسنطينة عام 1824م، وهو عجوز هرم قليل القوة، ضعيف الذكاء، وهو تركي قديم في قسنطينة إلا أنه لا يحسن اللغة العربية ولا يتحدثها إلا بصعوبة، لم يظهر أية حيوية في إدارة البايلك، وتم عزله سنة 1826م". ينظر: العنتري: فريدة منسية،،، ص 89.

[4] الزهار: مصدر سابق، ص 159.

[5] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 108.

[6] الزياني: مصدر سابق، ص 311.

وبرر موقفه بالرسالة التي أرسلها والده أحمد التجاني إلى أهل عين ماضي ينصحهم فيها بعدم مقاتلة الأتراك وحثهم على المصالحة، وأن مخالفة هذا الرأي يؤدي إلى الهلاك، وعلى الرغم من المعارضة الصارخة والتحذيرات إلا أن محمد الكبير بقي ثابتا على موقفه في مواجهة الباي حسن[1].

بدأ محمد الكبير التنظيم لثورته وفي هذا الصدد يقول الزياني: "... ثم إن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب، ظهر له مقاتلة الأتراك والغزو على الباي حسن في محله، كما جاء لمحله ودس ذلك في قلبه، وصار يجمع الجنود ويحشد الحشود، يكاتب من يظن به الإذغان له، ومن جلمة ذلك قبائل الحشم[2] واخبرهم بما يريد فوافقوه على ذلك..."[3].

تم مبايعة أحمد التيجاني من قبل قبائل الحشم سرا سنة 1826م، غير أن الباي وصله خبر هذه المبايعة عن طريق جواسيسه في المنطقة، وكان حينها على رأس محلته بنواحي تلمسان، فطلب من قادته جمع الجيوش وتوجه بهم نحو معسكر وتحديدا إلى سهل غريس موطن قبائل الحشم[4].

استقر الباي وجيوشه بمنطقة عواجة بالقرب من غريس، وارسل بطلب قادة قبائل الحشم، ولم يكن أهل غريس حينها على علم بأن الباي قد اطلع على مكيدتهم مع التيجاني، وعندما وصل القادة وصاروا تحت حضرته، رأى أن يقتلهم لعله يوقف هذا التحالف، فأمر بالقبض عليهم وتم قطع رؤوسهم وكان عددهم 12 رجلا.

ارتحل بعدها الباي إلى معسكر، كما أمر اثنين من اتباعه بالذهاب إلى قبائل الحشم وجمع ما عليهم من ضريبة بعد أن ضاعفها بسبب تحالفهم مع التجاني، وعندما وصل المبعوثان وطلبوا من السكان دفع خطيتهم رفض السكان ذلك وقالو لهم بالأمس قتلتهم قادتنا واليوم جئتم لأخذ

[1] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص ص 145-147.

[2] الحشم، قبائل عربية مشهورة، موطنهم بين معسكر وسعيدة. ينظر: ابن سحنون الراشدي: مصدر سابق، ص 145.

[3] الزياني: مصدر سابق، ص 314.

[4] الزهار: مصدر سابق، ص 159.

أموالنا، وبادروا بالقبض على مرافقي الباي وقاموا بقتلهم وإرسال رأسيهم إلى محمد التيجاني على أنه رأس الباي حسن، الأمر الذي زاد من حماس التيجاني للقيام بالثورة[1].

3-الهجوم على معسكر 1827م

قدم أحمد التيجاني إلى معسكر مع جيش كبير من أهل الصحراء واليعقوبية وستمائة رجل من التيجانية، ووصل لغريس عام 1827م، ولما رأت قبائل الحشم جيشه الكبير، أطاعوه وانظموا إليه، ثم إن التيجاني كاتب بعض القبائل المخزنية يدعوها للالتحاق به أمثال بني عامر وبني شقران، والبرجية والغربة والزمالة، غير أنهم رفضوا المشاركة معه في هذه الثورة[2].

دخل التيجاني يوم الاثنين لمدينة معسكر(ينظر الخريطة رقم 04)، وكانت معسكر مقسمة حينها على سبعة أقسام، حومة العرقوب بسورها، وحومة سيدي علي وحومة عين البيضا، وحومة الباب الشرقي، وحومة بابا علي، وحومة سيدي محمد أبي جلال، وحومة المدينة الداخلية، فبدأ بهجومه للسيطرة على هذه الحومات، فوقع قتال شديد بين جيش التيجاني وأهل معسكر، ومات من الفريقين خلق كثير، واستطاع التيجاني خلالها السيطرة على معظم الأقسام وتدميرها وقتل سكانها ما عدى من أطاعه، وبينما هو يقاتل على أسوار آخر الحومات ليسيطر عليها بلغ خبره للباي حسن، فخرج بجشيه من وهران اتجاه معسكر[3].

لما أوشكت مدينة معسكر على السقوط، وصل الباي على رأس جيش يفوق عدده جيش التيجاني، غير أنه لم يدخل في مواجه مباشرة معهم في الأول، بل قام بإغراء قبائل الحشم بالمال مقابل انسحابهم وتخليهم عن أحمد التجاني، فنجحت خطته[4]، فتخلت قبائل الحشم عنه وبقي التيجاني يقود جماعة من ثلاثمائة مقاتل من الأعراب[5]، فثبت هو وثبتت معه الجماعة وواصلو القتال، وكان من عادة هؤلاء الأعراب في وقت القتال أن يعقلوا انفسهم مثل الابل، وهكذا عقلوا انفسهم وقاتلوا قتلا شديدا إلى أن قتلوا على آخرهم[6].

---

[1] المزاري: مصدر سابق، ص ص 354-355.

[2] الزياني: مصدر سابق، ص316.

[3] المزاري: مصدر سابق، ص ص 356-357.

[4] ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني وعوامل انهياره،،، ص 109.

[5] محمد باشا: مرجع سابق، ص 81.

[6] الزهار: مصدر سابق، ص 160.

خريطة رقم 04

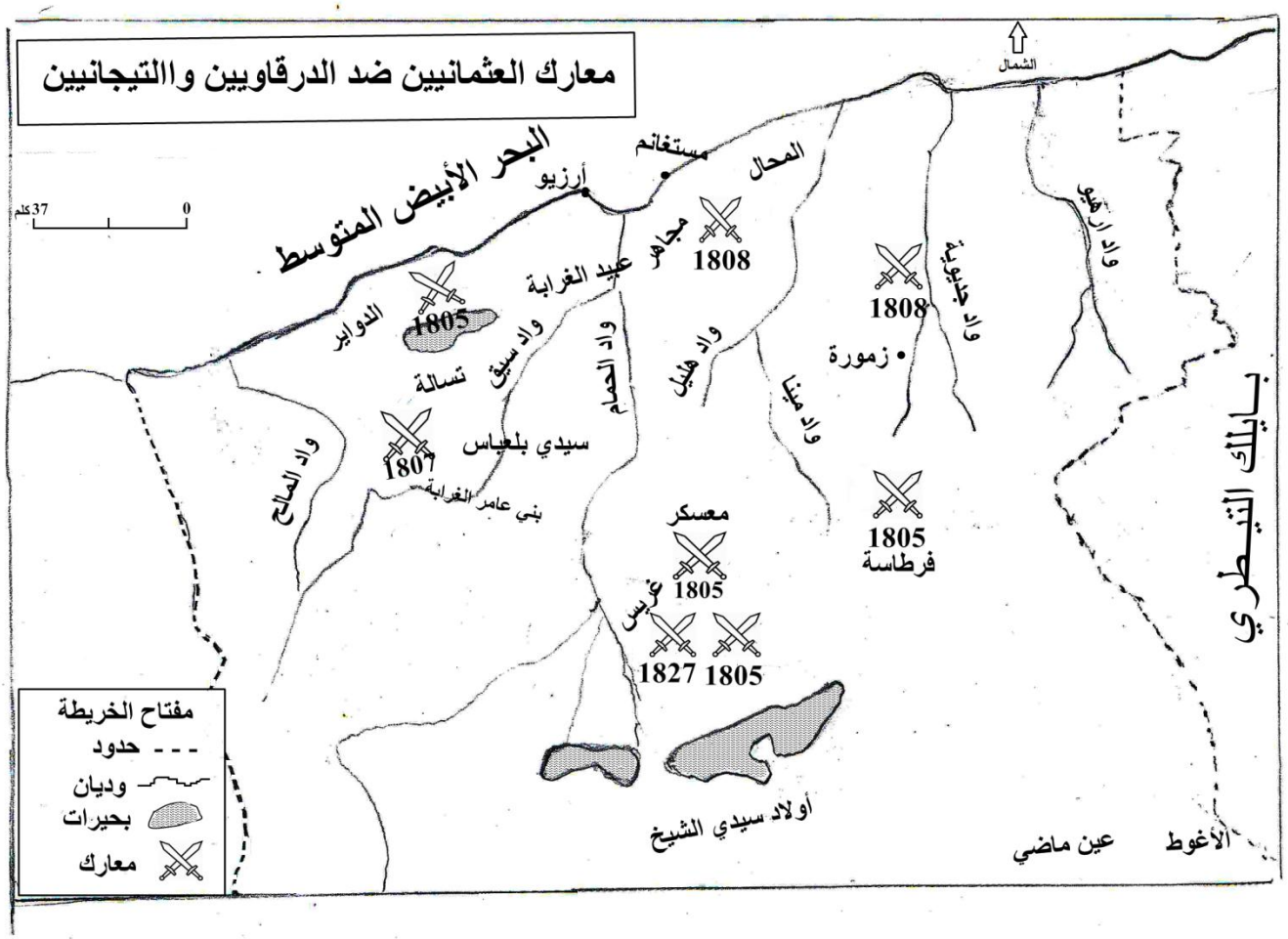

مصدر الخريطة: سميرة طالي معمر: القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/792-1831م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010/2009، ص 198.

رابعا: نهاية الصراع ونتائجه

بعد نهاية المعركة أمر الباي حسن بقطع رأس محمد التيجاني ويده ورؤوس سائر التجاجنة الذين قاتلوا معه، فقطعت الرؤوس وأتي بهم للباي وبعثهم أمامه للمعسكر، ودخل وهران في عزه وإكرامه فرحا ومسرورا بهذا النصر[1].

قام الباي بعدها ببعث البشائر لداي حسين بمدينة الجزائر بنصره على التيجاني، كما أرسل له رأس التيجاني وأتباعه، فقام الداي بتعليق رأس محمد الكبير على عمود وصلبه ووضعه في الباب الجديد بالعاصمة، وعلقوا الرؤوس الأخرى من حوله، ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه، بعثوا حتى للسلطان محمود[2] بالباب العالي يبشرونه بقتله، وارسلوا له كذلك سيف محمد التيجاني[3].

كما كتب الباي حسن لقائد مليانة يخبره بهذا النصر وجاء في رسالته: "... الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله المكرم ولدنا علي قائد مليانة وفقه الله آمين السلام عليكم ورحمة الله والبركة وبعد فالذي نبشركم به خيرا إن شاء الله تعالى هو أننا طحنا على محلة الظالم ابن التيجاني وأحزابه فقتلناه هو بنفسه وقتلنا خليفته وقطعنا رأسيهما... والحمد لله على هذه البشارة المباركة لقد هنيت العباد من ظلمه وفساده وها نحن بشرناك والسلام بأمر المعظم السيد حسن باي آمنه الله آمين".[4]

نتائج ثورة محمد التيجاني

ترتبت على ثورة محمد التيجاني العديد من النتائج أهمها:

---

[1] الزياني: مصدر سابق، ص 320.

[2] "السلطان محمود الثاني (ولد سنة 1785، وتولى الحكم سنة 1808، وتوفي سنة 1839م)، هو السلطان الثلاثون من السلاطين العثمانية، اعتلى العرش وعمره 23 سنة، عرف عهده العديد من الإصلاحات خاصة الجانب العسكري، ويعتبر هو مؤسس تركيا الحديثة والجيش التركي الحديث". ينظر: محمد فريدبك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981.ص 398.

[3] الزهار: مصدر سابق، ص 160.

[4] المزاري: مصدر سابق، ص 360.

1- تحول التيجانيين للمرة الأولى من حالة دفاع إلى حالة هجوم، ففي عهد أحمد التجاني كان يتفادى الصراع مع السلطة الحاكمة، وذلك أيضا ما نصح به أهله وبلده، بالرغم من الحملات المتكررة عليه والتي غالبا ما تفشل لاستماته التيجانيين في الدفاع عن منطقتهم[1].

2- إن الانتصارات التي حققها الباي حسن جعلت الغرور يتملكه وزادته طغيانا وفي هذا يقول الزياني: "..... ثم كثر عبث هذا الباي وظلمه وتعديه واجتراؤه على العلماء والأولياء والرعية، وكثر منه الضلال والتردي، فكثر سفك الدماء في العباد... وأكثر من الخطية للرعايا حتى صار يقول لعماله: من قتل حجلة فله جناحها، يريد بذلك أن من سعى بأحد، فإنه يأخذ من الخطية حقه..."[2].

3- الخسائر المادية والبشرية التي لحقت الطرفين، فقد قدر الزهار عدد قتلى التيجانية بعد تخلي الحشم عليهم بثلاثمائة قتيل[3]، بينا الآغا المزاري يذكر أن محمد التجاني قد خرج مع جماعة قدرها ستمائة رجل من أهل الصحراء والذين قتلوا جميعا في المعركة[4].

4- انهزام التيجانيين في مواجهة السلطة دفع محمد الحبيب الذي كان يترقب ثورة أخيه من قرية أبي سمغون، إلى الاعتماد على سياسة سلمية بعيدة عن الصدام العسكري حتى إن كانت السلطة ظالمة، وبهذا يكون قد اتبع سياسة والده التي لطالما نادى بها[5].

[1] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 153.

[2] الزياني: مصدر سابق، ص ص 311-312.

[3] الزهار: مصدر سابق، ص 159.

[4] المزاري: مصدر سابق، ص 352.

[5] بن يوسف التلمساني: مرجع سابق، ص 154.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الثورات الشعبية في الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني- التيجانية أنموذجا- توصلنا إلى النتائج التالية:

- استكملت الجزائر استقلالها التام عن الباب العالي في عهد الدايات (1671-1830م)، وتبعه صراع شديد على السلطة، وانتشار الفساد داخل النظام العثماني، كما أن الحكام صاروا يسيرون البلاد حسب أهوائهم بعيدا عن القوانين المعمول بها، ولم تختلف سياستهم اتجاه الأهالي بل زادة حدة وجور، الأمر الذي أدى إلى انفلات امني صاحبه العديد من الثورات، فنجد أن معظم البايات يقضون الجزء الكبير من فترة حكمهم في محاولة قمع الثوار والمتمردين، الذين لم يتركوا لهم مجالا للاهتمام بواجباتهم الأخرى اتجاه البلاد.

- كان تأثيرا الأوضاع الداخلية من اضطرابات وثورات كبيرا على نظام الحكم العثماني بعد القرن18م، فقد تولى الحكم قبل هذه الفترة اربع دايات فقط طلية خمسين سنة(1748-1798م) نتيجة للانتعاش الاقتصادي الذي أدى إلى هدوء واستقرار سياسي، لكن مع مطلع القرن 19م اختلفت الأوضاع بسبب الانهيار المالي، فقد تعاقب على الحكم ستة دايات في ظرف ثلاثة عشر سنة (1805-1817م)، كما تعرض عدد كبير منهم إلى الاغتيال، مثل الداي علي خوجة (1808-1809م) الذي اغتاله جنود الانكشارية.

- يعتبر بايلك الغرب مركزا للثورات المعادية للحكم التركي، فقد عرف ثورتين متتاليتين، ثورة ابن الشريف الدرقاوي، والثورة التيجانية، الأمر الذي دفع بالحكام بعد إخمادهم لهذه الثورات بإتباع سياسة حازمة اتجاه رجال الطرق الصوفية، كونهم يعتبرون المحرك الأساسي لها، فتم التضييق عليهم وقتل كل من يشكل تهديدا مباشرا على السلطة الحاكمة. أمثال عبد الله بن حواء التجيني شيخ الطريقة الدرقاوية الذي قتله الباي حسن، والحاج محي الدين والد الأمير عبد القادر تعرض للمضايقات والسجن من قبل السلطة العثمانية.

– وجد الحكام العثمانيون انفسهم أواخر عهدهم بالجزائر في صراع مع تيار ثوري ساخط تقوده الطرق الصوفية مدعما من قبل الأهالي بسبب الأوضاع المتردية والتعامل غير عادل من قبلهم، وبالرغم من بساطة التخطيط وعدم انتشار هذه الثورات في مختلف المناطق إلا أنها تطلبت من الحكام بذل مجهودات عسكرية كبيرة لإخمادها، مخلفة على اثرها خسائر مادية وبشرية فادحة لكلا الطرفين، فقتل على اثرها قادة وحكام عثمانيون وعلماء، وأعداد كبيرة من جنود النظام والأهالي من الثوار. كما جعلت الطبقة الحاكمة تفقد السيطرة على البلاد وأصبحت غير قادرة على توفير الأمن للسكان.

– ما يلاحظ على هذه الفترة ولأول مرة مشاركة الأهالي بكل أطيافه في المشهد السياسي، بعد أن كان شاهدا ومتفرجا على ما يحدث من جور وظلم وفساد.

– استطاعت هذه الثورات الإطاحة بالعديد من البايات، فعدم قدرتهم على إيقاف هذه الثورات جعل داي الجزائر يتخذ إجراءات في حقهم، من تهديد وعزل ونفي وصولا إلى القتل. وكذلك قتل عدد منهم أثناء الخروج لمجابهة هذه الثورات. مثل الباي محمد بن عثمان (1809–1812م) الذي قتل وعلقت جثته على أبواب مدينة الجزائر بسبب تأثره بالطريقة الدرقاوية التي قادت ثورة ضد النظام العثماني وانضمامه إليها سرا. إضافة إلى الباي عثمان الذي قتل أثناء مواجهة مباشرة ضد ابن الأحرش.

– بالرغم من الظهور المتأخر للطريقة التيجانية (1787م)، لم يمنعها هذا من أن تحتل مكانة كبيرة داخل الجزائر وخارجها، فإعلان شيخها ومؤسسها أحمد التيجاني أنه تلقى أوراد هذه الطريقة مباشرة من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، جعلها تستقطب عددا كبيرا من المقدمين، ومكنها من الانتشار بشكل واسع.

– تعرضت الطريقة التيجانية ومنذ نشأتها إلى التضييق والملاحقات من قبل السلطة العثمانية، نتيجة للظروف التي صاحبت ظهورها، وكذلك الانتشار الواسع لها الذي رأت فيه السلطة

الحاكمة تهديدا لهم، وكذا موقفها الرافض للظلم والجور الحاصل في حق السكان، فشنت عليها حملات متكررة أدت في الأخير إلى حدوث صدام مباشر.

– ساهمت الثورة التيجانية إضافة إلى الثورات التي سبقتها بشكل كبير في إضعاف الدولة داخليا وخارجيا وبالتالي التعجيل بنهاية الحكم العثماني بالجزائر، فبداية كانت مع استغلال الدول المجاورة تونس والمغرب هذا الوضع عن طريق تدعيم هذه الثورات لإعادة فتح الصراع القديم حول الحدود بحيث استطاعوا السيطرة على بعض المناطق في فترات معنية، وصولا إلى الدول الغربية التي رأت في هذه الأوضاع التي صاحبت هذه الثورات، والشرخ الذي أحدثته داخل السلطة الحاكمة، من انقلابات واغتيالات بسبب عدم قدرة الحكام دفع مستحقات الجيوش، فرصة للقيام بالعديد من الحملات العسكرية على الجزائر.

– أصبحت الجزائر في ظل هذه الظروف عرضة لتنامي الأطماع الاستعمارية الأوربية وبالخصوص الفرنسية منها.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

1- ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتني به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، د.م، د.ت.

2- ابن منظور: لسان العرب، مج 4، دار صادر، بيروت، د.ت.

3- برادة علي حزام ابن العربي: جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، ج1، تح: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.

4- بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

5- التلمساني أحمد بن هطال: رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

6- الجزائري محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط2، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7- خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

8- الدرقاوي العربي: مجموعة رسائل مغربية، تح: بسام بارود، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.

9- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، 2013.

10- الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754-1830، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

11- الزياني ابن الوزان: وصف إفريقيا، تر: عبر الرحمن حميدة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2005.

12- السائحي محمد بن المشري السباغي: روض المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التيجاني، تح: مولاي المهدي الكنسوسي، د.د، مراكش، 2010.

13- السنوسي أبي عبد الله محمد بن عثماني: مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج 1، ط1، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

14- شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824)، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

15- شاوش ابن المفتي حسن بن رجب: تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ط1، دراسة وتحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

16- العطار أحمد بن المبارك: تاريخ قسنطينة، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز، قسنطينة، 2011.

17- العنتري صالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، طبعة خاصة، تح: يحيى بوعزيز، عالم المعرفة للنشر، الجزائر 2009.

18- العنتري صالح: مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.

19- الفكون عبد الكريم: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، ط 1، تح: أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

20- كاثكارت جيمس لندر: مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

21- الكتاني محمد بن جعفر ابن إدريس: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004.

22- المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، ط1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

23- الناصر أبي راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تح: محمد غالم، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، د.ت.

24- الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.

2- المراجع

1- اتيين برونو: عبد القادر الجزائري، ط 1، تر: ميشيل خوري، دار عطية، لبنان، 1997.

2- الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة لنشر، الجزائر، 2007.

3- آلتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط1، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت ، 1989.

4- بوعزيز يحي: مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

5- دخيل الله علي بن محمد: مختصر التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنة، ط1، دار العاصمة، السعودية، 2002.

6- دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830- 1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

7- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.

8- سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب: عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

9- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، ج 1، ج2، ج4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

10- سعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2004.

11- سعيدوني ناصر الدين: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الحادية والثلاثون، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الكويت، 2010.

12- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط 3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

13- سعيدوني ناصر الدين: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2001.

14- سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2 ، دار البصائر، الجزائر، 2009.

15- سعيدوني ناصر الدين، المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

16- سكيرج أحمد بن الحاج العياشي: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، د.د، د.م، 1961.

17- شريط عبد الله ، محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط 1، مكتبة البعث، قسنطينة، 1956.

18- شوفالييه كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر: جمال حمدانة، ديوان المطبوعات الجامعية، د.م، 2007.

19- شويتام ارزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر.2011.

20- صابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

21- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، 2012.

22- عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

23- العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج 1، دار البراق، بيروت، 2002.

24- فريدبك محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981.

25- القشاني كمال الدين عبر الرزاق: اصطلاحات صوفية، ط2، تح: محمد كمال إبراهيم جعفر، د.م، 1961

26- محرز أمين: الجزائر في عهد الآغوات (1659- 1671)، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013.

27- محمد باشا ابن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج 1، تح: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

28- المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

29- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

30- هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد الحديث، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2008.

3- المقالات

1- آيت حبوش حميد: "أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني انموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، جامعة وهران، د.ت.

2- بحري أحمد: "ملامح التاريخ الثقافي للجزائر في العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع9، د.م، 2012.

3- بن حيدة يوسف: "التواصل الصوفي بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنين 18-20م -الطريقة التيجانية نموذجا-"، مجلة الدراسات الإفريقية، مج3، ع 7، جامعة الجزائر 2، جوان 2019.

4- بن عمر حمداد: "محمد أبو عبد الله المغوفل (828-932هـ) والتعريف بتأليفه فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 04، ع 05، جامعة وهران، د.ت.

5- بونقاب مختار: "انتفاضة درقاوة في باليك الغرب (1802-1816)"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 03، جامعة معسكر، ديسمبر 2008.

6- جعني زينب:" ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق (1800-1807)"، مجلة عصور جديدة، ع 18، جامعة وهران، أوت 2015.

7- حيمي عبد الحفيظ: "الطريقة التيجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية 1196-1242هـ (1782-1826م)"، مجلة آفاق فكرية، مج 4، ع3، جامعة سيدي بلعباس ، جويلية 2018.

8- خيضر رابحة محمد: "من أعلام الجغرافيا البحرية العثمانية محي الدين بيري ريس"، مجلة التربية والعلم، مج 12، ع 04، جامعة الموصل، 2009.

9- دحماني توفيق، صباح نور هادي لعبيدي: "إيالة الجزائر العثمانية: بين موارد البحر والضرائب"، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية، ع 10، السنة الرابعة، جماعة سامراء، أكتوبر 2017.

10- سعودي أحمد: "الإدارة العثمانية في الجزائر ولقوى الروحية بين التوائم والتصادم"، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مج 11، ع1، جامعة الجلفة، الجزائر، جوان 2018.

11- سعيدوني ناصر الدين:" ثورة ابن الأحرش بين التمرد والانتفاضة الشعبية"، مجلة الثقافة الجزائرية، ع 78، د.م، ديسمبر، 1983.

12- شاطو محمد: "السلطة العثمانية بالجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية 1792-1830" مجلة المواقف للبحوث والدراسات، ع 03، د.م، ديسمبر 2008.

13- شترة خير الدين: "الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830- مطلع القرن 20م) الطريقة الشيخية أنموذجا"، مجلة الحقيقة، ع 18، جامعة أدرار، د.ت.

14- شودار مبارك: "لمحة عن الأوضاع السياسية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع 04، جامعة الأغواط، ديسمبر 2016.

15- صحراوي عبد القادر: " ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 16-17، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017.

16- عبو إبراهيم: "الثورات المحلية ضد الحكم العثماني بالجزائر ثورة ابن الأحرش انموذجا"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع 01، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، د.ت.

17- عمران عبد الحميد: "قبائل الشرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (THOMAS Shaw)، من خلال كتابة (رحلة في إيالة الجزائر)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع5، جامعة محمد بوضياف، ديسمبر 2017.

18- العيد فارس: "الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع 05، جامعة طاهري محمد، بشار، جوان 2017.

19- لعرج شيخ ، دحو فغرور: "انتشار الطرقة التيجانية في بايلك الغرب اواخر القرن 19م وبداية القرن 19م ونشاطاتها المختلفة"، مجلة الحضارة الاسلامية، ع29، جامعة وهران، جوان 2016.

20- مريخ رشيد: "ملامح من الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 12، د.م، ديسمبر 2017.

21- المشهداني مؤيد محمود حمد، سلوان رشيد رمضان:" أوضاع الجزائر خلال الحكام العثماني 1518-1830"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مج 5، ع 16، جامعة تكريت، افريل 2013.

22- هلايلي حنيفي: "ثورة الدرقاوة في الغرب الجزائري خلال عهد الدايات"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 115، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2004.

4- الرسائل الجامعية

1- بالعمري فاتح: الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحالة، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ، كلية الآداب والحضارة، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2016-2017.

2- بن صحراوي كمال: الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل درجة الماجستار في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، 2007-2008.

3- بن يوسف التلمساني: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) 1782-1800، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998.

4- بوغديري كمال: الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2015/2014.

5- درياس يمينة: السكة الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1988.

6- شويتام ارزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.

7- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000- 2001.

8- قاسمي رباح: الخطاب الصوفي التيجاني الأبعاد والتأثير، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص دراسة الجمهور، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009.

9- القشاعي فلة: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستار في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990.

10- لعرج شيخ: موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن20م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1، 2016-2017.

11- معمر سميرة طالي: القوى المحلية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1206-1246هـ/792-1831م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2009/2010.

5- المواقع الإلكترونية

1- الجزائر دايلي، قرية عين ماضي ولاية الأغواط عمرها يفوق عشر قرون، تاريخ الاطلاع: 2020/06/16، سا: 12:57، www.edd-dz.net.

فهرس المحتويات

المقدمة..... 1

الفصل الأول: الأوضاع العامة بالجزائر أواخر العهد العثماني..... 5

أولا: الأوضاع السياسية..... 6

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية..... 9

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والثقافية..... 17

الفصل الثاني: ثورات الجزائريين ضد الحكم العثماني..... 27

أولا: الطرق الصوفية وعلاقتهم بالإدارة العثمانية..... 28

ثانيا: ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري 1804-1807م..... 30

ثالثا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي بالغرب الجزائري 1805- 1809 م..... 41

الفصل الثالث: التيجانية والسلطة العثمانية..... 50

أولا: علاقة التيجانية بالسطلة العثمانية..... 50

ثانيا: الصراع في عهد المؤسس أحمد التيجاني 1785-1798 م..... 60

ثالثا: الصارع في عهد ولديه محمد الكبير ومحمد الحبيب 1815-1827 م..... 63

رابعا: نهاية الصراع ونتائجه..... 70

الخاتمة..... 72

قائمة المصادر والمراجع..... 75

فهرس المحتويات 85